سلسلة

بيت المقدس للدراسات

ربيع الأول ١٤٣٦ هـ يناير ٢٠١٥ م
نصف سنوية

تصدر عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

١٩
شتاء ٢٠١٥م
١٤٣٦ هـ

العدد
التاسع عشر

- كلمة العدد : مخيم اليرموك وكماشة الموت
- يهود الفلاشا.. والهوية الضائعة !
- معجزات الأنبياء في أرض الإسراء
- دراسة مقارنة بين الأيديولوجية الصليبية والصهيونية
- فلسطين في أقوال المفسرين
- عمود الدين واستقرار الايمان بالشام
- فتوى الشيخ يوسف صوفان القدومي
- قراءة في كتاب: في قبضة الحاخامات
- صدر حديثا : آفاق ما بعد الحرب على غزة

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز بيت المقدس للدراسات ٢٠٠٩-٢٠١٦ م

سلسلة بيت المقدس للدراسات

العدد التاسع عشر

كل الحقوق محفوظة

chief-aqsa@hotmail.com

سلسلة بيت المقدس للدراسات

نصف سنوية - تصدر عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية
العدد التاسع عشر (ربيع الأول ١٤٣٦هـ- يناير ٢٠١٥م)
رقم الإيداع : (٢٠٠٨/١٢٩٨٨)
إيداع دار الكتب والوثائق القومية في مصر (١٢٩٩٨)

مكاتب مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

فلسطين	غزة - الرمال - برج ذو النورين - طابق ٦ هاتف: ٠٨٢٨٦١٦٥٤+٩٧٠ جوال: ٠٥٩٧٩٩٤٦٨٨+٩٧٠ / ناسوخ: ٠٨٢٠٧٩٦٩٦+٩٧٠ maqdes192009@hotmail.com
لبنان	لبنان - صيدا - ساحة القدس - عزّام بلازا - الطابق الأول محمول: ٠٩٦١٣٥٦٦٠٧٠+ - هاتف وناسوخ: ٠٩٦١٧٧٥٤٧٨٩+ muqdes_saida@hotmail.com
مصر	القاهرة - مدينة نصر - الحي العاشر - هاتف وناسوخ: ٠٢٠٢٢٤٧٢٤٦٥٦+ - محمول: ٠٢٠١٠٠٩٣٩٦٦٠١+ للمراسلة: مكتب بريد الحي العاشر - رقم بريدي ١١٥٢٨ - ص.ب ٣٩ aqsana.cairo@yahoo.com
اليمن	صنعاء - الاصبحي - شارع الحريبي - قرب محطة بترول الاصبحي هاتف: ٠٩٦٧٦٧٣٨٤٨+ - الجوال: ٠٩٦٧٧١١١٣٠٨٢٩+ / ٠٩٦٧٧١٣٤٨٩٣١٧+ aqsasanaa@yahoo.com

موقع المركز على الإنترنت: www.aqsaonline.org
البريد الإكتروني: chief_aqsa@hotmail.com

القاهرة: بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة الرئيسي - رقم حساب ٢٦١٣٨٢
صنعاء: بنك التضامن الإسلامي الدولي - فرع صنعاء الرئيسي - رقم حساب ٤٨٣٥٤١ - ١٠١ - ٠٠
لبنان - صيدا - وقف مركز بيت المقدس بنك البركة - رقم الحساب: ٠٠١-٢٠١٠١٧-٠١٠٣

الدولة	سعر النسخة	Copy Price	Country
فلسطين	١,٥ دينار	Dinars 1.5	Palestine
الأردن	١,٥ دينار	Dinars ١,٥	Jordan
اليمن	٢٠٠ ريال	Real 200	Yemen
السعودية	١٠ ريال	Real 10	Saudi Arabia
البحرين	١ دينار	Dinar 1	Bahrain
قطر	١٠ ريال	Real 10	Qatar
عمان	١ ريال	Real 1	Oman
الإمارات	١٠ دراهم	Dirhams 10	UAE
مصر	٥ جنيهات	Pounds 5	Egypt
الكويت	٧٥٠ فلساً	Fils 750	Kuwait

• الدول الأجنبية : بما يعادل ١٥ ريال سعودي تشمل أجور البريد للنسخة الواحدة.

رئيس مجلس إدارة المركز
جهاد العايش
الإشراف العام
د. عيسى القدومي
هيئة التحرير
م. مبتسم أحمد
د. مراد أبو هلاله
أ. أيمن الشعبان

ترسل باسم المشرف العام لسلسلة بيت المقدس للدراسات على البريد الإلكتروني للمركز :
Correspondences Should be addressed to :
The General supervisor of Bait AlMagdes series
editor@aqsaonline.info

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية
قبرص – نيقوسيا
عنوان المركز على شبكة الإنترنت
www.aqsaonline.org
البريد الإلكتروني
chief-aqsa@hotmail.com

فهرس الموضوعات

العدد التاسع عشر

• كلمة العدد :مخيم اليرموك وكماشة الموت	رئيس التحرير	8
• يهود الفلاشا والهوية الضائعة	د.عيسى القدومي	12
• معجزات الأنبياء في أرض الإسراء	أ . أيمن الشعبان	20
• دراسة مقارنة بين الأيديولوجية الصليبية والصهيونية	أ. حسام حلمي الأغا	36
• فلسطين في أقوال المفسرين	أحمد مثقال	64
• عمود الدين واستقرار الايمان بالشام	م. مبتسم الأحمد	78
• فتوى الشيخ يوسف صوفان القدومي	لجنة البحث العلمي	86
• قراءة في كتاب: في قبضة الحاخامات	م. مبتسم الأحمد	94
• صدر حديثا : آفاق ما بعد الحرب على غزة	أسرة التحرير	102

رئيس التحرير

كلمة العدد: مخيم اليرموك وكماشة الموت

مأساة

مخيم اليرموك – أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في دمشق والشتات – تُعد شطر مأساة سوريا ، وأظن أن كل ما يحدث في سوريا جزء، ومخيم اليرموك جزء آخر؛ فالموت جوعاً أضحى خبراً على شاشات التلفزة !!

فحكايته عجيبة غريبة، حصار أزهق النفوس، وبراميل فجرت البيوت، وسكاكين قطعت الرؤوس، وجديدها تمكين داعش بحركة بهلوانية، وتحالفات مشبوهة، وتسهيلات مكشوفة.

ولا شك أن ضريبة الشتات التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في مخيمات اللجوء باهظة الثمن، فمع أي حدث سياسي أو عسكري في الدول العربية - ولاسيما دول الطوق- حول فلسطين تُسال الدماء الفلسطينية، سواء اعتزلوا أو شاركوا في تلك الأحداث والمتغيرات .

فمنذ بداية الثورة في سورية، خرج علينا متحدثون رسميون باسم الحكومة ليتهموا الفلسطينيين في المخيمات بأنهم وراء ذلك الحراك؛ لجر الفلسطيني إلى معركة الأنظمة الظالمة مع شعوبها .

وبدت المحاولات التي تبذلها أطراف خارجية وعصابات مأجورة واضحة الأهداف في سعيها لجر المخيمات الفلسطينية - على وجه الخصوص - إلى مزيد من المواجهات المسلحة في ظل الوضع القائم في سورية، من أجل طرد القاطنين في مخيمات اللاجئين، ولا شك أن المستفيد الأول من الأحداث الضاربة للمخيمات الفلسطينية هو الاحتلال الإسرائيلي الذي يسعى لإلغاء تلك المخيمات وما يتبعها من حق العودة إلى وطنهم الأم فلسطين المحتلة.

إن ما يحدث اليوم في مخيم اليرموك مؤامرة كبيرة على اللاجئين ، ويهدف إلى تهجير من تبقى منهم إلى خارج سوريا باتجاه الدول

ضريبة الشتات التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في مخيمات اللجوء باهظة الثمن، وهم أضعف حلقة في مكونات الدول التي يقطنونها؛ فلا ميليشيات تحميهم، ولا قوى سياسية تنادي باسمهم

الغربية ونسف حق العودة بالكامل وتدمير مخيم اليرموك "الرمز" أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في الشتات .

ولا شك أن اللاجئين الفلسطينيين ومخيماتهم هم أضعف حلقة في مكونات الدول التي يقطنونها؛ فلا ميليشيات تحميهم، ولا قوى سياسية تنادي باسمهم ولا حضور على الأرض مع غياب شبه كامل لمثليهم دولياً؛ الأمر الذي يسهل مخطط ذبحهم والاستفراد بهم دون أن ينتصر أحد لدمهم ؛ كما حدث لهم مؤخراً في العراق.

وقد عملت كل الفصائل الفلسطينية لتحييد المخيمات الفلسطينية، وتجنيب إقحام أبناء الشعب الفلسطيني في الأزمة في سوريا أو لبنان أو غيرهما من الدول، إلا أن المجرم أحمد جبريل – الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - الأداة الأولى للنظام النصيري تسبب في وضع المخيمات بين مطرقتين: إما تأييد النظام السوري المجرم، أو القتل باعتبارهم من المؤيدين للمعارضة السورية وجيشها الحر، فعصابات النظام السوري بمساندة مرتزقة أحمد جبريل قامت بعمليات «عقاب جماعي» للمخيمات الفلسطينية، وكأن الطريق والسبيل لتحرير فلسطين لا يكون إلا على أطلال مخيم اليرموك !!

لذا نقول: إذا لم يتم حل مشكل الإخوة الفلسطينيين في المخيمات من الإبادة التي يتعرضون لها وإنقاذهم من المأساة، فإن مخطط اليهود سيتحقق بإزالة المخيمات - الشاهدة على مأساة احتلال أرض وتشريد شعب - بقتلهم وتشريدهم.

مناشدات عديدة أطلقها ناشطون عبر صفحات ومواقع إعلام المخيم تتحدث عن وضع إنساني متهالك، فبعد أن كان يقطنه أكثر من ١٦٠ ألف نسمة، لم يتبقى منهم إلا ١٨ ألف فقط ، يتعرضون للقصف وقتال الشوارع ، وقلة المواد الغذائية ومن المتوقع موت من تبقى جوعاً !!

المطلوب حقن دماء الفلسطينيين في مخيمات سورية ، ومخيم اليرموك على وجه الخصوص، وفك الحصار عنه، وتقع المسؤولية الأولى على عاتق مؤسسات المجتمع الدولي وبالأخص وكالة غوث اللاجئين (الأونروا)، التي تتحمل المسؤولية القانونية والتاريخية

(الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) الأداة الأولى للنظام النصيري تسبب في وضع المخيمات بين مطرقتين: إما تأييد النظام السوري المجرم، أو القتل بحجة تأييدالمعارضة!!

مخيم اليرموك وكماشة الموت

عن هؤلاء اللاجئين في شتاتهم سواء بقوا في سورية أو نزحوا إلى دول مجاورة كالأردن ولبنان والعراق وتركيا، والمجتمع الدولي مسؤول بداية عن تشردهم الأول من فلسطين، وما لحق بهم في مخيمات الشتات، منذ ٦٤ عاماً وإلى الآن.

والمطلوب دور جاد للجامعة العربية والسلطة الفلسطينية، والتحرك المباشر لوقف استهداف الفلسطينيين في المخيمات، وعقد جلسة طارئة لمناقشة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا وكيف يمكن حمايتهم أو إخلاؤهم أو ضمان عدم مواصلة العدوان عليهم.

إلى أن تتحرك الجهات الدولية والإنسانية ... نتساءل لماذا الحرب على المخيمات الفلسطينية أينما وجدت؟! ولمصلحة من يحارب الوجود والصمود في تلك المخيمات ؟!! وما هو المخيم التالي بعد مخيم اليرموك ؟ علماً بأن الأخبار منذ أشهر تفيد باستهداف مخيم عين الحلوة في صيدا – لبنان بعد اليرموك ، فمن المستفيد من ذلك يا ترى ؟!!

المطلوب دور جاد للجامعة العربية والسلطة الفلسطينية، لوقف استهداف الفلسطينيين في المخيمات، وعقد جلسة طارئة لمناقشة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا

د. عيسى القدومي

يهود الفلاشا والهوية الضائعة !

حلموا

كثيرًا وانتظروا طويلاً لتحقيق آمالهم الوردية في كيان هش وعدهم بحياة كريمة، ورفاه لا يُنال إلا في "الجنة" ، نقلوا من أثيوبيا إلى أرض فلسطين ، ولكنهم لم يعاملوا معاملة بقية اليهود !! بل عوملوا على أنهم أداة لتكثير عدد اليهود، ليعالج بأمثالهم التفوق الديمغرافي الفلسطيني على اليهود في دولة الاحتلال ، فأضحوا مهمشين يعانون التمييز العنصري ، ويعيشون على هامش المجتمع

هؤلاء الذين يبلغ عددهم نحو ١٤٠ ألفا موزعين على ١٩ بلدة ويعيشون في أحياء فقيرة ومهملة ومدن صفيح على أطراف المدن القائمة، تتزايد جرائمهم ومخالفاتهم بسبب فقرهم وتهميشهم لتصل نسبة المعتقلين الجنائيين بينهم نحو ٤٠٪ خصوصا من الشباب الذين يعانون الفقر والبطالة.

كبار السن منهم يعانون الإهمال والخدمات الصحية والنفسية، وطلابهم في المدارس يعاملون باستعلاء وفوقية من قبل زملائهم اليهود، وشبابهم عاطلون عن العمل ؛ فاقدون لمصادر العيش، ووصل الأمر من قبل اليهود إلى رفض مجاورتهم وتأجيرهم شققا، هذا إضافة إلى عدم تشغيلهم، لذا فإنهم لا يشعرون بالانتماء والولاء لتلك الأرض، بل بعضهم يحن للعودة إلى موطنه الأصلي - أثيوبيا - رغم الفقر وقلة الإمكانات هناك .

لقد سعى الكيان الصهيوني جاهدا لاستقدامهم ؛ لكنهم أهملوا استيعابهم فكان استعبادهم، حيث اعتبروا بشكل عام يهود، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا يهودا عند المؤسسات الحاخامية والدينية، وكذلك غالب المؤسسات السياسية .

الفلاشا جماعة إثنية في إثيوبيا تزعم أنها من أصل يهودي ومرتبطة بنوع من أنواع الديانة اليهودية يستند إلى العهد القديم والكتب الخارجية غير المعتمدة

عنصرية اليهود ضد الفلاشا :

العنصرية بين اليهود لا تقتصر على اليهود الذين تجمعوا من شتات

الأرض وبين الفلاشا، بل إن العنصرية بين اليهود رافقتهم منذ بداية الهجرة إلى أرض فلسطين وتجلت في أبهى مظاهرها بين اليهود الشرقيين والغربيين منهم.

فاليهود الشرقيين (السفارديم) وصلوا أولا إلى الكيان الغاصب، وكونهم غير متعلمين جعلهم يعملون في "الزراعة" ، وبعدها قدم اليهود الغربيين "متعلمين" وقاموا بالعمل على بناء المؤسسات لإقامة الدولة اليهودية، وتبوؤا مناصب إدارية وسيادية ،الأمر الذي ولّد حالة من الحقد والعنصرية بين اليهود في ذلك المجتمع الهجين.

فالمجتمع الذي عمل قادة وساسة اليهود على تشكيله والإيحاء بأنه شعب واحد لم يتحقق؛ في ظل اليهود الروس الذين يميزون أنفسهم عن كافة يهود المجتمع اليهودي، ويتحدثون الروسية أكثر من العبرية ويمتلكون مدارس خاصة وصحفاً وإعلامًا روسيًا خاصًا بهم.

ومن مظاهر العنصرية ضد الفلاشا ؛ رفض مدينة إيلات (عدد سكانها عشرون ألفاً) تزويد المستوطنين الفلاشا بالماء والكهرباء ، كما رفض المجلس المحلي لمغتصبة يروحام إدخال الفلاشا إليها .

وفي صفد تظاهر السكان ضد إعطاء المهاجرين من إثيوبيا بيوتاً ، كما هدد أولياء أمور الطلاب في المدارس الدينية بالامتناع عن إرسال أطفالهم إليها إذا استمر أطفال الفلاشا معهم ، وشكا رئيسا بلدية عكا ونهاريا من توطين الفلاشا في بلدتيهما بحجة أنها مدن اصطياف سياحية ووجود الفلاشا لا يساعد كثيراً على اجتذاب السياح ، فهو يخلق التوتر ويزيد من تفاقم ظاهرة العنصرية في المدينة .

سعى الكيان الصهيوني جاهدا لاستقدامهم ؛ لكنهم أهملوا استيعابهم فكان استعبادهم، حيث اعتبروا بشكل عام يهود، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا يهودا عند المؤسسات الحاخامية والدينية

ما حقيقة الدين عند يهود الفلاشا؟

" الفلاشا " كلمة أمهرية تعني " المنفيين " كما أنها تعني أيضاً " غريب الأطوار " وأصل الكلمة يعود إلى الجذر " فلاشا " في اللغة الجعزية " ويعني " يهاجر " أو " يهيم على وجهه " ويستخدم أهل إثيوبيا الكلمة للإشارة إلى جماعة أفريقية تدين بشكل من أشكال اليهودية وهي لا تنتمي إلى أي من الكتل اليهودية الكبرى الثلاث :

الأشكناز والسفارد ويهود العالم الإسلامي .

وتعرف الموسوعة اليهودية الفلاشا : " الفلاشا جماعة إثنية في إثيوبيا تزعم أنها من أصل يهودي ومرتبطة بنوع من أنواع الديانة اليهودية يستند إلى العهد القديم والكتب الخارجية - أي الكتب غير المعتمدة والكتب الدينية الأخرى التي ظهرت بعد الانتهاء من تدوين العهد القديم - " .

ومن هذا التعريف يرى أنهم من أصول إثنية ليست بالضرورة يهودية ، وأنهم ليسوا يهوداً وإن كانوا " يزعمون " أنهم من أصول يهودية ، كما أن ما يعرفونه عن اليهودية يختلف عن اليهودية التي يتبعها معظم يهود العالم والسائدة في الكيان الصهيوني .

ويتركز الفلاشا أساساً في شمال إثيوبيا في المنطقة الواقعة بين نهر نازي في الشمال والشرق وبحيرة تانا والنيل الأزرق في الجنوب ، والحدود السودانية في الغرب ، وهم يعيشون في قرى صغيرة مقصورة عليهم تضم كل قرية نحو خمسين أو ستين عائلة .

ولا تختلف ملامح الفلاشا كثيراً عن ملامح غيرهم من الإثيوبيين ، كما لا يمكن الحديث عن نمط فلاشي متميز ، ولذا لا توجد اختلافات في لون الجلد وملامح الوجه ولا يختلف أسلوب حياتهم من معظم الوجوه عن أسلوب حياة جيرانهم كما إنهم يرتدون نمط الثياب نفسه ويأتزرون بالعباءة المسماة " الشامة " وهم يعملون أساساً في الزراعة كعمال أجراء ، كما يعملون في بعض الحرف الأخرى مثل صناعة الفخار والغزل والنسيج وصنع السلاسل ، كما يعملون حدادين وصاغة وحائكي ملابس ، ويعمل كثير منهم الآن في حرفة البناء في المدن .

الفلاشا يجهلون العبرية تماماً ، فمعرفتهم بها مقصورة على بضع كلمات ، وهم يمارسون عادة الزار لطرد الأرواح ويقال إن هذه الطقوس بدأت في إثيوبيا وانتشرت منها إلى بعض بلاد المشرق

والفلاشا يجهلون العبرية تماماً ، فمعرفتهم بها مقصورة على بضع كلمات لا يدركون هم أنفسهم أنها من هذه اللغة ، ويضم أدب الفلاشا عدة كتب موجودة على هيئة مخطوطات ، ومن الطريف أن بعض هذه الكتب متداول بين اليهود والنصارى في آن ؛ بل إن بعض الكتب اليهودية تضم أشعاراً من العهد الجديد.

ويمارس الفلاشا عادة الزار لطرد الأرواح ويقال إن هذه الطقوس بدأت

في إثيوبيا وانتشرت منها إلى بعض بلاد المشرق العربي كما إنهم يقومون بصنع الأحجبة والتعاويذ اتقاء العيون الشريرة، وبسبب اشتغالهم في الحدادة يعدهم أهل القرى سحرة .

الحاخامية وموقفها من الفلاشا :

لعل السؤال الذي يطرح نفسه : في أي شيء تختلف يهودية الفلاشا عن اليهودية الحاخامية ؟ عبادة الفلاشا تستند إلى العهد القديم الذي لا يعرفونه إلا باللغة الجعزية – لغة الكنيسة الإثيوبية - ويضم العهد القديم الذي يعرفونه كل الكتب المعتمدة وبعض كتب "الأبوكريفا" غير المعتمدة مثل : كتاب يهوديت ، وحكمة سليمان ، وحكمة بن صيرا، وكتاب المكابيين الأول والثاني ، وكتاب باروخ ، ولم يصل التلمود إلى الفلاشا ، وغني عن الذكر أن التلمود هو عمود اليهودية الحاخامية الفقري وعصبها ، وعدم الاعتراف به ينطوي على عدم اعتراف بها .

والفلاشا ليس لديهم حاخامات وإنما قساوسة يطلق على واحدهم لفظة "قس" ، كما إنهم ينتسبون ، مثل الكهنة القدامى في يهودية ما قبل التهجير ، إلى هارون ، وينتخب الكهنة في كل منطقة كاهناً أعظم لهم لكي يصبح زعيماً دينياً للجماعة ويصبح من صلاحياته ترسيم الكهنة .

فشلت عملية استيعاب الفلاشا فشلا ذريعا ، فحوادث الانتحار الفعلية تنشرها الصحف تباعا ، مسلطة الضوء على محاولات الانتحار العديدة التي قام بها يهود الفلاشا ، وعن تهديدهم بالانتحار الجماعي

ومن الطريف أن عادة "الاعتراف" النصرانية موجودة عند الفلاشا، فهم يدلون باعترافاتهم إلى الكاهن من آونة إلى أخرى وعند نهاية اليوم ، وإلى جانب الرهبان والكهنة ، يوجد علماء يستخدمون صحن المعبد لتعليم الدين .

ويقيم الفلاشا شعائر يوم السبت بصرامة غير عادية ، فيمتنعون عن الجماع في ذلك اليوم ، ويقضي الرجال يومهم في الصلاة ، لكن التحريمات الخاصة به مختلفة من بعض الوجوه عن تحريمات اليهود الأرثوذكس .

وتتبدى مغالاة الفلاشا في قوانين الطهارة في تعاملهم مع النساء ، فبعد أن تلد المرأة ولداً ، فإنها تعد غير طاهرة مدة أربعين يوماً ، وإن

وضعت بنتاً ، فإن المدة تتضاعف ، وبعد نهاية المدة تحلق المرأة شعر رأسها وتغطس في الماء وتغسل ملابسها قبل أن تعود إلى منزلها وأحياناً يحرق الكوخ الذي قضت فيه فترة العزل.

ويؤمن الفلاشا بإله واحد ويؤمنون بالبعث واليوم الآخر والثواب والعقاب ، كما يؤمنون بعقائد اليهود الأخرى كإيمانهم بأنهم من الشعب المختار وأنه سيظهر بينهم المسيح وقد حدث عام ١٨٦٢م أثناء حكم الإمبراطور "تيودور الثاني" أن ظهر رجل دجال ادعى أنه المسيح ، وأقنع الفلاشا بالعودة إلى أرض الميعاد سيراً على الأقدام ولكن معظمهم مات في الطريق .

ويبدو أن بعض الفلاشا ممن تقع قراهم قريبة من القرى المسلمة قد تأثروا بعقيدة المسلمين، وربما كان بعضهم مسلما بالفعل ، إذ ذكرت الصحف اليهودية أن بعضهم قد اعتنق الإسلام في الكيان اليهودي ، كما أوردت أن بعضهم أثناء زيارة حائط البراق - والذي يطلق عليه اليهود حائط المبكى - سمع صوت الأذان فاتجه إلى المسجد لإقامة الصلاة ، وذكرت إحدى الصحف في الكيان اليهودي أن بعضهم أقام الصلاة على طريقة المسلمين في المطار فور وصوله إلى الكيان اليهودي وقد وصفتهم الصحيفة بأنهم " فلاشا سنيون "!! .

يبدو أن بعض الفلاشا ممن تقع قراهم قريبة من القرى المسلمة قد تأثروا بعقيدة المسلمين، وربما كان بعضهم مسلما بالفعل ؛ فبعضهم اعتنق الإسلام وبعضهم يتجه إلى المساجد

وقد تكون تلك الطبيعة المختلطة لهوية الفلاشا هي ما حدا بأحد المسئولين في الوكالة اليهودية في أوائل الخمسينيات إلى أن ينصح الذين فكروا منهم في الهجرة بالتنصر، وحل مشكلتهم بهذه الطريقة بدلاً من الهجرة إلى الكيان اليهودي.

ومع هذا فقد تم تهجيرهم باسم الهوية اليهودية العالمية وبذلك فقدوا هويتهم الإفريقية ولم يكتسبوا هوية جديدة؛ لأن المجتمع ينظر إليهم بعين الشك بسبب لون جلدهم وتوجههم الثقافي بل ومعتقداتهم الدينية ، حيث شككت دار الحاخامية في يهوديتهم .

والحاخامية في الكيان اليهودي اعترفت بالفلاشا كيهود تمهيداً لعملية التهجير ، ومع هذا ، لم يكن الاعتراف بهم كاملاً ؛ فيهوديتهم حسب التصور الديني ناقصة ؛ لذلك طلب منهم عند وصولهم أن

يعاد ختانهم ، وأن يأخذوا حماماً طقوسياً لتطهيرهم ولوحظ أنه لا تصدر لهم بطاقة هوية إلا بعد هذه الطقوس ، بل ويتسلمها بعضهم دون تحديد الديانة حتى بعد الختان والاستحمام الطقوسي ، ومن الطريف أن هؤلاء الفلاشا المشكوك في يهوديتهم ذهلوا من علمانية المجتمع الصهيوني وعدم حرصه على الشعائر اليهودية إذ لاحظوا أن يهود الكيان اليهودي لا يلتزمون بشعائر السبت .

ولم يحل المعضلة ذلك القانون الموضوع من الحاخامية والذي يرعى مسألة الهجرة، على أن كل إنسان مولود من أم يهودية هو يهودي .

استيعاب لم يتحقق :

فشلت عملية استيعاب الفلاشا فشلاً ذريعاً ، فحوادث الانتحار الفعلية تنشرها الصحف تباعاً ، مسلطة الضوء على محاولات الانتحار العديدة التي قام بها يهود الفلاشا ، وعن تهديدهم بالانتحار الجماعي ، وقد أنشأ بعض اليهود منظمة " مهاجري إثيوبيا " لا لتسهيل استيعابهم وتوطينهم بل للعمل على تهجير جزء منهم إلى كندا .

ويشكل الجيش عاملا جيدا للاستيعاب واستقطاب الفلاشا، حيث إن ٩٧٪ من الأثيوبيين الشباب يقومون بالخدمة العسكرية ، ويضم الجيش ٥٥ ضابطا من أصل أثيوبي.

وقال شلومو مولا المسؤول عن الأثيوبيين في وزارة الهجرة والاستيعاب "لا يوجد اندماج سياسي أو مهني" ، رغم أن اليهود الأثيوبيين قد وعدوا بأرض الميعاد، وبحياة خالية من الفقر، يرى هؤلاء - عبر التظاهرات الكثيرة التي نظموها- انهم خسروا بيئة اجتماعية عاشوا فيها مئات السنين واندمجوا فيها، وتمتعوا باحترام لم يتمتعوا فيه في... أرض الميعاد الصهيونية.

فشلت عملية استيعاب الفلاشا فشلا ذريعا ، فحوادث الانتحار الفعلية تنشرها الصحف تباعا ، مسلطة الضوء على محاولات الانتحار العديدة التي قام بها يهود الفلاشا، وعن تهديدهم بالانتحار الجماعي

ومع ذلك سيبقى يهود الفلاشا موضع جدل في الكيان اليهودي من حيث حقيقة يهوديتهم، واندماجهم مع مجتمع شتات اليهود على أرض فلسطين ، وارتباطهم في الأرض التي هُجروا إليها .

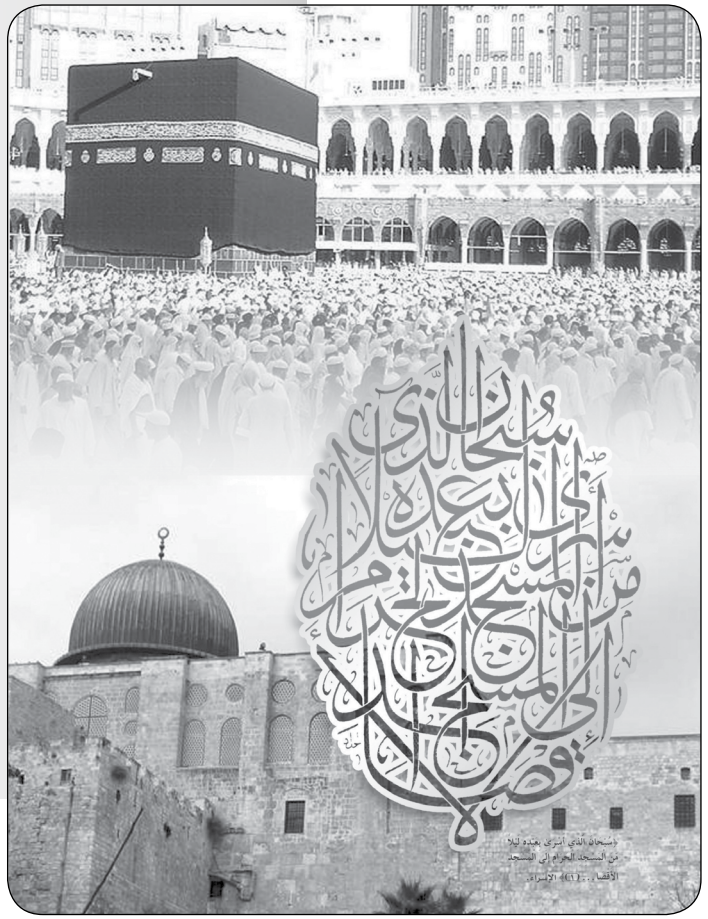

أيمن الشعبان

معجزات الأنبياء في أرض الإسراء

أيَّد الله

سبحانه وتعالى أنبياءه وأجرى على أيديهم معجزات متنوعة، لإقامة الحجة على أقوامهم وبرهانا لصدقهم، كما أنها تُثبِّت المؤمنين وتُقوِّي عزيمتهم ويقينهم وإيمانهم، إذ أنها من أقوى الوسائل والطرق لإقناع الكفار بصدق رسالة الأنبياء.

الأرض المقدسة فلسطين وما حولها من بلاد الشام، التي باركها الله وجعلها مهد الرسالات، ومهبط الأنبياء ومعدنهم وقبورهم فيها؛ تنوعت على ثراها المعجزات، لما لها من أهمية دينية بمختلف الأزمان، حتى بات محور ولب الصراع بين الحق والباطل - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - متمركزًا فيها.

للأنبياء في الأرض المباركة قصص ومواقف وعبر متنوعة، وما بها من شبر إلا صلى فيه نبي مرسل أو قام فيه مقرب وتعبد، وفي المسجد الأقصى منبرهم وقبلتهم ومتعبدهم، فما من نبي إلا ولد أو سكن أو نشأ أو مر أو دُفن فيها أو هاجر إليها.

سأسلط الضوء وأركز في هذا البحث، على جانب مهم من حياة الأنبياء وما حصل معهم في الأرض المقدسة، من معجزات عظيمة وآيات بينة، لتتجلى أكثر وتتضح أهمية تلك الأرض الدينية والعناية الربانية، لأنها ارتبطت ارتباطا وثيقا بالوحي ورسالة السماء، وجمع الله لها بين فضيلتي المكان والسكان.

هاجر خليل الرحمن عليه السلام، من العراق إلى الأرض المقدسة، ليقيم الدين والتوحيد والعبودية لرب البرية، ولما تقدم به العمر سأل الله سبحانه أن يرزقه من الصالحين

إبراهيم عليه السلام:

بعد أن آذاه قومه ونجاه الله من النار؛ هاجر خليل الرحمن عليه السلام، من العراق إلى الأرض المقدسة، ليقيم الدين والتوحيد والعبودية لرب البرية، ولما تقدم به العمر سأل الله سبحانه أن يرزقه من الصالحين، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [١]، أي ولدا صالحا يعينني على الدعوة والطاعة فبشرناه بغلام حليم: أي

متسع الصدر حسن الصبر والإغضاء في كل أمر، والحلم رأس الصلاح وأصل الفضائل [٢]؛ فولد إسماعيل عليه السلام من هاجر وإبراهيم عليه السلام عمره ست وثمانون سنة. بعد ثلاث عشرة سنة من مولد إسماعيل عليه السلام، أرسل الله سبحانه رسلا من الملائكة لإهلاك قوم لوط، فمروا بإبراهيم في الأرض المقدسة فضيفهم، وبشروه بغلام عليم هو إسحق عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ . قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [٣].

فاستغربت وتعجبت سارة بهذه البشارة كما تعجب إبراهيم عليه السلام، فهي عجوزعقيم وزوجها شيخ كبير، فكانت من معجزات إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [٤].

يعقوب ويوسف عليهما السلام:

بشَّر الله سبحانه إبراهيم عليه السلام في الأرض المقدسة؛ بإسحق ويعقوب تفضلا ومنة بعد البشارة بإسماعيل، قال تعالى: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [٥]، وتعلمون ما حصل من مكر وكيد إخوة يوسف وإلقائه في البئر، إلى نهاية القصة التي قصها الله علينا في سورة كاملة، ومن فصولها حصلت معجزة مشتركة بين يعقوب ويوسف عليهما السلام في الأرض المقدسة.

بعد أن اجتمع إخوة يوسف به وعرفوه في مصر؛ " قال يوسف لإخوته: اذهبوا بقميصي هذا، فألقوه على وجه أبي، يعد بصره إليه بعد أن عمي بسبب شدة الحزن، وأتوني بجميع أهليكم من الرجال والنّساء والأولاد، وكانوا سبعين رجلا وامرأة وولدا. وكان هذا كله بوحي وإعلام من الله تبارك وتعالى "[٦].

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ . قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ . فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ

معجزة قميص يوسف من أبهر المعجزات النبوية في تاريخ الرّسل، وكان الخبر العجيب من يعقوب عليه السّلام أنه يشمّ ريح يوسف، ويوسف في مصر، ويعقوب في الشام!

أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصيراً قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾.[٧]

وفي النّبوة أعمال خارقة للعادة، تسمى معجزات، وكانت معجزة قميص يوسف من أبهر المعجزات النّبوية في تاريخ الرّسل، وكان الخبر العجيب من يعقوب عليه السّلام أنه يشمّ ريح يوسف ابنه المفقود منذ زمن طويل. وتحقّقت نبوءة يوسف وأبيه يعقوب، وتمت الفرحة الغامرة باكتشاف وجود يوسف عليه السّلام، وأنه ما زال حيّا، وأنه ذو مكانة وسلطان، وعمت البهجة والسرور أرض مصر وفلسطين معا، وكان البشير المبشر بهذا الابن الأكبر ليعقوب، وهو يهوذا الذي اعتصم بمصر، والذي كان قد جاء بقميص الدم.[٨]

والذي علينا أن نصدّقه هو أن يعقوب وجد ريح يوسف، وهو في مصر، ويعقوب في الشام[٩] ! والله تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات لأن وصول الرائحة من هذه المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة، فيكون معجزة ليعقوب عليه السّلام على الأظهر أو الأقرب[١٠].

وأما كيف كان لهذا القميص أن يعيد إلى يعقوب بصره بمجرد أن ألقي عليه.. فلهذا أكثر من قول يقال هنا..

فلك أن تقول إنه آية من آيات الله، أجراها الله سبحانه وتعالى بين يدي نبيّين كريمين.. يعقوب ويوسف! أو قل هي معجزة جعلها الله سبحانه ليوسف- عليه السلام- وآذنه بها.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾.. فهو يعلم من الله، ما يحمل هذا القميص في طياته من أسرار أودعها الله فيه![١١]

يوسف عليه السلام من شدة تعلقه بالأرض المقدسة، ولم يتيسر له العيش فيها والتعبد بعد النبوة، أوصى علماء بني إسرائيل أن ينقلوا عظامه معهم عند انتقالهم إلى فلسطين، وكان يعلم بأنهم سيتركوا مصر، وحصلت بعد وفاته معجزة فهو كريم حيا وميتا عليه السلام.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أتى النَّبيَّ صلَّى الله

نبي الله أيوب عليه السلام يُضرب به المثل في الصبر على البلاء، إذ ابتلاه الله في أهله وولده وماله وجسده، فصبر واحتسب طيلة ثماني عشرة سنة، وكان يسكن في قرية من قرى حوران في الشام

عليه وسلَّم أعرابيٌّ فأكرَمه فقال له ائتنا فأتاه فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : "سَلْ حاجتَك فقال : ناقةٌ نركَبُها وأعنُزٌ يحلُبُها أهلي؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: أعجَزْتُم أن تكونوا مثلَ عجوزِ بني إسرائيلَ فقال إنَّ موسى لمَّا سارَ ببني إسرائيلَ من مصرَ ضلُّوا الطَّريقَ فقال ما هذا فقال علماؤُهم إنَّ يوسفَ لمَّا حضَره الموتُ أخَذ علينا مَوْثِقًا منَ الله ألَّا نخرُجَ من مصرَ حتَّى ننقُلَ عظامَه معنا قال فمَن يعلَمُ موضعَ قبرِه قال: عجوزٌ من بني إسرائيلَ فبعَث إليها فأتَتْه فقال دُلِّيني على قبرِ يوسُفَ قالت حتَّى تُعْطيَني حُكْمي قال وما حُكْمُك قالت أكونُ معك في الجنَّة فكرِهَ أن يُعْطيَها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطِها حُكْمَها فانطلَقَتْ بهم إلى بُحَيرةٍ مَوضعَ مُستنقَعِ ماءٍ فقالت انضُبوا هذا الماءَ فأنضَبوه قالت احتفروا واستخرِجوا عِظامَ يوسُفَ فلمَّا أَقَلُّوها إلى الأرضِ إذ الطَّريقُ مثلُ ضوءِ النَّهارِ". [١٢]

أيوب عليه السلام:

نبي الله أيوب عليه السلام يُضرب به المثل في الصبر على البلاء، إذ ابتلاه الله في أهله وولده وماله وجسده، فصبر واحتسب طيلة ثماني عشرة سنة، وكان يسكن في قرية من قرى حوران في الشام، إلى أن دعا الله سبحانه مناديا ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[١٣].

فاستجاب الله له وأمره أن يضرب برجله في الأرض، لينبع منها عينا فيها ماء بارد عذب يغتسل منه ويشرب، فيذهب عنه الضر، وحصلت عدة معجزات منها:

- عافاه الله من الأمراض والأسقام، ورزقه جَمالا تاما؛ لما اغتسل من الماء المبارك، وأعاد الله لحمه وبشرته.
- بعث الله سحابتين أفرغت الذهب والفضة على أكداس القمح والشعير.[١٤]
- نزل عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه.[١٥]
- رد الله لزوجته نضارتها وحسنها، وقيل: ولدت له سبعة وعشرين ذكرا عوضا عن الذين ماتوا.

بعد عبادة بني إسرائيل العجل، اختار موسى منهم سبعين رجلا لميقات ربه والاعتذار، فحصلت معجزة بأن زلزل الله الأرض من تحت أرجلهم، ثم ألزم النقباء الاثني عشر بأخذ الميثاق والقيام به وتحمل المسؤولية

موسى عليه السلام:

موسى عليه السلام في طريقه من مدين إلى مصر، أوحى الله سبحانه إليه مرتين، الأولى بتكليفه بحمل الرسالة إلى فرعون وبني إسرائيل، والثانية هي الشريعة الجديدة التي كتبت في الألواح لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر إلى الأرض المقدسة، كان ذلك في جبل طور سيناء في الأرض المقدسة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦]، ثم بعد الوحي منحه آيتي العصا واليد، ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [١٧].

نحن نعلم أن الأرض المباركة والمقدّسة هي أرض فلسطين، وبما أن الوادي الذي نزل فيه موسى واد مقدّس، فلا بد له من أن يكون واقعا في الأرض المقدّسة، وبما أن الشجرة نبتت في بقعة مباركة، فلا بد لها من أن تكون قائمة في الأرض المباركة، وبما أن شجرة سورة النور زيتونة مباركة ومضيئة، فلابد لها من أن تكون هي الشجرة، التي رآها موسى في بطن وادي عربة فظن نورها نارا، والله أعلم [١٨].

بعد نجاة موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده ساروا باتجاه الأرض المقدسة بوحي من الله، وفي طريقهم مروا بصحراء قاحلة فطلبوا من موسى الماء والطعام والظل، فحصلت عدة معجزات للكليم موسى عليه السلام، خروج الماء من الحجارة، ووقايتهم من حر الشمس بتظليل السحاب لهم، وإنزال المن والسلوى.

قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا

ورث سليمان العلم والنبوة والحكمة من أبيه داود عليهما السلام، وأقام مملكة التوحيد في بيت المقدس، وآتاه الله في تلك الأرض المباركة العديد من المعجزات والآيات الواضحات

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [١٩].

بعد عبادة بني إسرائيل العجل، اختار موسى منهم سبعين رجلا لميقات ربه والاعتذار، فحصلت معجزة بأن زلزل الله الأرض من تحت أرجلهم، ثم ألزم النقباء الاثني عشر بأخذ الميثاق والقيام به وتحمل المسؤولية، فرفع سبحانه فوقهم الجبل وأجبرهم على الأخذ بقوة.

يوشع عليه السلام:

بعد انتهاء وذهاب الجيل المتخاذل من بني إسرائيل، الذين عاقبهم الله سبحانه بالتيه نتيجة لجبنهم وعدم استجابتهم لموسى عليه السلام بالجهاد لفتح بيت المقدس؛ ظهر جيل مؤمن قادهم يوشع عليه السلام لاسترجاع الأرض المقدسة، وبعد حصار المدينة لأشهر حصلت معجزة لم تحصل عبر التاريخ إلا مرة واحدة في هذه البقعة.

قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ما حُبِسَت الشمسُ على بَشَرٍ قطُّ، إلَّا على يُوشَعَ بنِ نُونَ لَيالي سارَ إلى بَيت المَقْدس) [٢٠].

داوود عليه السلام:

بعد أن قَتَل داود عليه السلام الملك الظالم المتكبر جالوت؛ أقام عليه السلام مملكة التوحيد في بيت المقدس فكان ملكا نبيا، وأعطاه الله العديد من المعجزات في تلك الأرض المباركة منها:

- تسبيح الطير والجبال معه والناس ينظرون:

قال تعالى: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [٢١].

- إلانة الحديد له، حتى قيل أنه كان يتعامل مع الحديد كما كان الناس يتعاملون مع الطين والشمع؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [٢٢].

ولا شك أن إلانة الحديد بدون نار معجزة لداود، وهي مناسبة لحاله، وهو في أشد الحاجة لها هو وقومه [٢٣].

بقي سليمان عليه السلام يتعبد الله عز وجل في بيت المقدس، حتى اقترب أجله وجاءه ملك الموت لقبض روحه، وقبضها وهو عليه السلام متكئ على عصا له، وبقي الجن يقومون بأعمالهم

وكان داود قد أعطي قوّة نادرة وشجاعة وإقداما عجيبين وكان يرمي الحجر بالمقلاع فلا يخطىء الرّمية، وكان يلوي الحديد ليصنعه سردا للدّروع بأصابعه، وهذه القوّة محمودة لأنّه استعملها في نصر دين التّوحيد[٢٤].

• تأييده بالوحي وهو الزبور:

قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[٢٥].

يقول ابن تيمية: فهذه الكتب معجزة لما فيها من أخبار الغيب الذي لا يعلمه إلا نبيّ، وكذلك فيها من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ما لا يأتي به إلا نبيّ، أو تابع نبيّ [٢٦].

• كمال القوة وقوة ملكه وتثبيته وسلامته من أي أضرار:

قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [٢٧]، وقال سبحانه: ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٢٨].

فلا ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معان. وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان داود أشد ملوك الأرض سلطانا. كان يحرس محرابه كل ليلة نيف وثلاثون ألف رجل، فإذا أصبح قيل: ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله [٢٩] .

سليمان عليه السلام:

كان لنبينا عليه الصلاة والسلام اهتمام كبير وارتباط وثيق، بالأرض المقدسة والبقعة المباركة بيت المقدس خصوصا وبلاد الشام عموما، حتى عُرفت أرض فلسطين بأرض الإسراء نتيجة لتلك المعجزة العظيمة والرحلة العجيبة

ورث سليمان العلم والنبوة والحكمة من أبيه داود عليهما السلام، وأقام مملكة التوحيد في بيت المقدس، وآتاه الله في تلك الأرض المباركة العديد من المعجزات والآيات الواضحات، بل حياته كلها معجزة لما له من قدرات خارقة أكبر وأعظم من أن توصف، قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [٣٠].

من معجزاته عليه السلام:

• علَّمه الله سبحانه منطق الطير وسائر لغات الحيوانات، كما في قصة النملة، والهدهد الذي جاءه من سبأ بنبأ يقين:

قوله: ﴿عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ وكان ذلك معجزة له، أظهرها لقومه ليعلموا بها صدق إخباره عن نبوته [٣١].

• معرفة النملة في وادي النمل لسليمان عليه السلام :

قال أهل المعاني: ومعرفة النملة معجزة له، ألهمها الله معرفته حتى عرفته وحذرت النمل حطمه، وهو قولها: ﴿ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ .[٣٢]

وَقَالَ ابْنُ بَحْرٍ: نَطَقَتْ بِالصَّوْتِ مُعْجِزَةً لِسُلَيْمَانَ، كَكَلَامِ الضَّبِّ وَالذِّرَاعِ لِلرَّسُولِ[٣٣].

• تسخير الجن لخدمته مع فهمه لكلام الحيوان :

وهي من الآيات التي خص الله بها سليمان عليه السلام، فمن الشياطين من يغوص له، ومنها من هو مقيد في الأصفاد، ومنها من يعملون له أعمالا أخرى.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [٣٤].

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾، هَذَا ذِكْرُ مُعْجِزَةٍ وَكَرَامَةٍ لِسُلَيْمَانَ. وَهِيَ أَنْ سَخَّرَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُوَى الْمُجَرَّدَةِ مِنْ طَوَائِفِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ الَّتِي تَتَأَتَّى لَهَا مَعْرِفَةُ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ مِنْ غَوْصِ الْبِحَارِ لِاسْتِخْرَاجِ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ وَمِنْ أَعْمَالٍ أُخْرَى أُجْمِلَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [٣٥].

• أعطاه الله ملكا عظيما، لم يؤته أحدا من قبله، ولن يعطه أحدا من بعده.

قال تعالى على لسان سليمان : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٣٦].

كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوّة ووارثا لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب ألفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز، ليكون ذلك دليلا على نبوّته قاهرا للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات، فذلك معنى قوله: ﴿لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [٣٧]

• تسخير الريح غدوها شهر ورواحها شهر :

من الإعجاز النبوي الذي تحقق في زماننا، إخباره عليه الصلاة والسلام عن حال المسجد الأقصى، وأنه سيحال بينه وبين المسلمين، حتى يتمنى أحدهم في ذاك الزمان أن يكون له قطعة صغيرة من الأرض، ينظر من خلالها إلى المسجد الأقصى

قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [٣٨]، عَطْفٌ عَلَى جُمْلَة ﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ﴾ بِمُنَاسَبَة تَسْخِير خَارِق لِلْعَادَة فِي كِلْتَا الْقِصَّتَيْنِ مُعْجِزَة لِلنبِئين عَلَيْهِمَا السَّلَام [٣٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [٤٠]، وكانت لينة في نفسها طيبة كالنسيم فكان جمعها بين الرخاوة فى نفسها وعصفها فى عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها حسبما يريد ويحتكم معجزة مع معجزة تَجْرِي [٤١].

- إتيانه بعرش ملكة سبأ :

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [٤٢]، ثم قال سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي... الآية [٤٣].

قيل: غرض سليمان في إحضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى وإظهار معجزة دالة على نبوته [٤٤]

وكان إحضار سريرها من اليمن إلى بلاد الشام معجزة نبويّة باهرة، تدلّ على صدق نبوّة سليمان وتأييد الله له، مما أدهش بلقيس وتأكّدت مصداقية النّبوة، وصحّة الموقف الذي اتّخذته [٤٥].

- معجزته عند الموت :

بقي سليمان عليه السلام يتعبد الله عز وجل في بيت المقدس، حتى اقترب أجله وجاءه ملك الموت لقبض روحه، وقبضها وهو عليه السلام متكئ على عصا له، وبقي الجن يقومون بأعمالهم، وافتضح أمرهم بادعائهم علم الغيب، إلى أن دلهم على موته الأرضة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [٤٦].

كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوّة ووارثا لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز

عزير عليه السلام:

كان نبيا من أنبياء بني إسرائيل يحفظ التوراة، وكان فيما بين داود

وسليمان وبين زكريا ويحيى، وبعد أن خرَّب بختنصر مدينة بيت المقدس وسبى أهلها بمائة عام؛ أوحى الله إليه أن يدخلها، فلما رآها تعجب من حالها، وقد قص الله علينا ذلك في كتابه العزيز وما حصل له من معجزات.

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤٧].

يروى عن غير واحد من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس ومجاهد والحسن البصري، أن الذي مر على هذه القرية هو عزير.

يقول الضحاك: قوله: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾، أنه مر على الأرض المقدسة [٤٨].

وقوله : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ معطوف على محذوف متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق، والتقدير: فعلنا ما فعلنا لترى وتشاهد بنفسك مظاهر قدرة الله، ولنجعلك آية معجزة ودليلا على صحة البعث [٤٩].

كان زكريا عليه السلام نجارا، وقد تكفل مريم عليها السلام، وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء

زكريا عليه السلام:

كان زكريا عليه السلام نجارا، وقد تكفل مريم عليها السلام، وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء بالصيف، وقد طعن في سنه وطلب الولد يكون برا تقيا على طريقة آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ .[٥٠]

ليأتي الجواب مباشرة من رب الأرباب، ببشارة الملائكة لزكريا بيحيى، "فأي: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته، وبكونه نبيا من الصالحين"[٥١]، فتعجب عليه

السلام لأنه مُسن وزوجته عاقرا، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[٥٢]؛ فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال: ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ [٥٣] بعدها حصلت معجزة أخرى، عندما طلب زكريا من ربه آية وعلامة على وجود الولد، قال تعالى: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [٥٤]، فاعتراه سكوت لا نطق معه، مع أنه سوي الخلق صحيح المزاج معتدل البنية.

• من معجزاته أيضا كما قيل انشقاق الشجرة له، قال ابن إسحق: كان زكريا وابنه آخر من بعث من بني إسرائيل قبل عيسى. وقال أيضا: أراد بنو إسرائيل قتل زكريا ففر منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها فالتأمت عليه، فأخذ الشيطان بهدبة ثوبه فرأوها فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه من وسطه في جوفها[٥٥].

يحيى عليه السلام:

ولادة يحيى عليه السلام كانت معجزة من المعجزات، إذ رزق الله زكريا بذلك المولود النبي ولم يجعل له من قبل سميا، قال تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [٥٦]، يقول ابن عباس: لم تلد العواقر مثله ولدا قط[٥٧]، وهو آخر من قتل من أنبياء بني إسرائيل.

كان زكريا وابنه آخر من بعث من بني إسرائيل قبل عيسى، وقد أراد بنو إسرائيل قتل زكريا ففر منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها فالتأمت عليه

عيسى عليه السلام:

عيسى عليه السلام آخر نبي بعثه الله من أنبياء بني إسرائيل، حيث حصلت له عدة معجزات في الأرض المقدسة نجملها بما يلي:

١- ولادة عيسى عليه السلام بلا أب من أم طاهرة محصنة عفيفة؛ معجزة من المعجزات وآية من الآيات، مثله في ذلك مثل خلق آدم بلا أب، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٥٨]

٢- التكلم في المهد: معجزة عظيمة وآية مبهرة لعيسى عليه السلام، إذ لم يتكلم من الأنبياء في حال صغره إلا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ [٥٩]، وَكَلَامُهُ فِي الْمَهْدِ مُعْجِزَةٌ وَفِي الْكُهُولَةِ دعوة [٦٠].

٣- طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن يدعو ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، فخشي عليهم من عدم شكرها، فدعا ربه بذلك ليستجيب له، يقول ابن كثير[٦١]: فأنزلها الله آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قاطعة.

٤- ومن معجزاته عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير، كل ذلك بإذن الله، يقول ابن كثير: يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عيانا بإذن الله، عز وجل، الذي جعل هذا معجزة يدل على أن الله أرسله [٦٢].

محمد عليه الصلاة والسلام:

كان لنبينا عليه الصلاة والسلام اهتمام كبير وارتباط وثيق، بالأرض المقدسة والبقعة المباركة بيت المقدس خصوصا وبلاد الشام عموما، حتى عُرفت أرض فلسطين بأرض الإسراء نتيجة لتلك المعجزة العظيمة والرحلة العجيبة والحدث المبهر، في إشارة ودلالة إلى أهمية ومكانة تلك الأرض سيما وأنها حصلت في وقت عصيب وفترة حرجة من حياة النبي عليه الصلاة والسلام في الفترة المكية!

في تلك المعجزة التي أكدت ارتباط الأرض المقدسة برسالة السماء ارتباطا قويا في وسط الزمان، ليجتمع فيها جميع الأنبياء في حدث تاريخي لم يحدث إلا في تلك الليلة المباركة والمكان المقدس، في إشارة لتثبيت مكانة تلك المقدسات وأنها منارة الأمة التي ينبغي الحفاظ عليها والتمسك بها دون تفريط أو تنازل.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام صبيحة ليلة الإسراء والمعراج؛ تجلية المسجد الأقصى له في مكة يصفه لقريش، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ) [٦٣].

من المعجزات أيضا أن النبي عليه الصلاة والسلام بشر بفتح بيت المقدس، يقول عليه الصلاة والسلام: (اعددْ ستًا بين يديْ الساعة: مَوْتِي، ثم فَتْحُ بيتِ المقدسِ ... الحديث) [٦٤]، وقد فتحها الفاروق عمر

كان لنبينا عليه الصلاة والسلام اهتمام كبير وارتباط وثيق، بالأرض المقدسة والبقعة المباركة بيت المقدس خصوصا وبلاد الشام عموما، حتى عرفت أرض فلسطين بأرض الإسراء نتيجة تلك المعجزة العظيمة

رضي الله عنه سنة ١٥هـ وتسلم مفاتيحها.

كذلك تحديد النبي عليه الصلاة والسلام مكان قبر موسى عليه السلام في الأرض المقدسة هو من الإعجاز النبوي، يقول عليه الصلاة والسلام كما في قصة ملك الموت مع موسى عليه السلام في قبض روحه؛ (فلو كنتُ ثَمَّ لأريتُكُم قبرَهُ، إلى جانبِ الطَّريقِ، عندَ الكَثيبِ الأحمَرِ) [٦٥]، وقد دفن عليه السلام في أطراف الأرض المقدسة.

ومن الإعجاز النبوي الذي تحقق في زماننا، إخباره عليه الصلاة والسلام عن حال المسجد الأقصى، وأنه سيحال بينه وبين المسلمين، حتى يتمنى أحدهم في ذاك الزمان أن يكون له قطعة صغيرة من الأرض، ينظر من خلالها إلى المسجد الأقصى خير له من الدنيا وما فيها.

يقول عليه الصلاة والسلام: (وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن (هو الحبل) فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا أو قال: خير من الدنيا وما فيها) [٦٦].

• ومن إعجازه عليه الصلاة والسلام الذي أخبر عنه وسيتحقق يقينا آخر الزمان في تلك الأرض المباركة؛ أن يتكلم الحجر والشجر فيقول: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود. [٦٧]

اللهم حرر المسجد الأقصى من براثن اليهود الغاصبين، وارزقنا فيه صلاة قبل الممات.

الهوامش :

١- (الصافات:٩٩-١٠١).
٢- تفسير القاسمي.
٣- (الحجر:٥١-٥٤).
٤- (هود:٧٢-٧٣).
٥- (الأنبياء:٧٢).
٦- التفسير الوسيط للزحيلي (٢/١١٣١-١١٣٢).
٧- (يوسف:٩٤-٩٦).
٨- التفسير الوسيط للزحيلي (٢/١١٣٣).
٩- التفسير القرآني للقرآن(٧/٤٣).
١٠- التفسير الوسيط للزحيلي(٢/١١٣٤).

١١- التفسير القرآني للقرآن(٧/٤٤-٤٥).
١٢- السلسلة الصحيحة حديث رقم ٣١٣.
١٣- (الأنبياء:٨٣).
١٤- السلسلة الصحيحة حديث رقم ١٧.
١٥- صحيح البخاري حديث رقم ٢٧٩.
١٦- (القصص:٣٠).
١٧- (القصص:٣١-٣٢).
١٨- تاريخ وجغرافيا بني إسرائيل في القرآن، موقع طريق الإسلام.
١٩- (الأعراف:١٦٠).
٢٠- السلسلة الصحيحة حديث رقم ٢٢٢٦.
٢١- (ص:١٧-١٩).
٢٢- (سبأ:١٠).
٢٣- التفسير الواضح (٣/١٣١).
٢٤- تفسير ابن عاشور" التحرير والتنوير"، (٢٣/٢٢٧).
٢٥- (الإسراء:٥٥).
٢٦- النبوات(١/٥٣٠).
٢٧- (ص:٢٠).
٢٨- (ص:١٧).
٢٩- تفسير القرطبي(١٥/١٦٢).
٣٠- (النمل:١٦).
٣١- لطائف الإشارات (٣/٢٩).
٣٢- التفسير الوسيط(٣/٣٧٣).
٣٣- البحر المحيط في التفسير(٨/٢١٩).
٣٤- (سبأ:١٢-١٣).
٣٥- تفسير ابن عاشور" التحرير والتنوير"، (١٧/١٢٤).
٣٦- (ص:٣٥).
٣٧- تفسير الكشاف للزمخشري(٤/٩٥).
٣٨- (الأنبياء:٨١).
٣٩- تفسير القاسمي(١٧/١٢٢).
٤٠- (سبأ:١٢).
٤١- روح البيان(٥/٥١٠).
٤٢- (النمل :٣٨).
٤٣- (النمل:٤٠).
٤٤- تفسير الخازن(٣/٣٤٧).

٤٥- التفسير الوسيط(٢/١٨٧٦).
٤٦- (سبأ:١٤).
٤٧- (البقرة:٢٥٩).
٤٨- تفسير الطبري.
٤٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم.
٥٠- (آل عمران:٣٨).
٥١- تفسير السعدي.
٥٢- (آل عمران:٣٨).
٥٣- تفسير السعدي.
٥٤- (آل عمران:٤١).
٥٥- فتح الباري لابن حجر(٦/٤٦٨).
٥٦- (مريم:٧).
٥٧- تفسير الطبري.
٥٨- (آل عمران:٤٣).
٥٩- (آل عمران:٤٦).
٦٠- تفسير البغوي(١/٤٤٠).
٦١- تفسير ابن كثير(٣/٢٢٥).
٦٢- تفسير ابن كثير(٢/٤٤).
٦٣- متفق عليه.
٦٤- أخرجه البخاري.
٦٥- متفق عليه.
٦٦- صححه الألباني، الثمر المستطاب(١/٥٤٨).
٦٧- متفق عليه.

للباحث : حسام حلمي الأغا

دراسة مقارنة بين الأيديولوجية الصليبية والصهيونية

*

المقدمة

الحمد الله الذي علم بالقلم؛ علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا، أما بعد:

فلقد شهدت فلسطين هجمة شرسة قادها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، والصهيونية في العصر الحديث ضد المسلمين في المنطقة العربية، واتخذوا من الدين شعارًا لهم يخفي أغراضهم الحقيقية المتمثلة بالاستعمار والاستيطان والسيطرة الاقتصادية، فكما أن الحركة الصليبية تعد إحدى الظواهر الرئيسة المميزة لتاريخ العصور الوسطى فإن الحركة الصهيونية تعد إحدى الظواهر الرئيسة المميزة للتاريخ الحديث والمعاصر.

فالصراع العربي الصهيوني، الذي اشتعل منذ النصف الأول من القرن العشرين، وما تزال نيرانه تحرق المنطقة العربية بلظاها الحارق حتى الآن، قد فَرض منظوراً جديداً لدراسة الحركة الصليبية، يقوم على أساس أوجه الشبه القائمة بين الحركتين الصليبية والصهيونية، ومع تسليمنا بوجود كثير من الاختلافات الناجمة عن تغيير الظروف التاريخية الموضوعية، وحركة العلاقات الدولية، ومفاهيم علاقات القوى، والتقدم العلمي والتكنولوجي، فضلاً عن الوعي بالتجربة الصليبية؛ ومع إيماننا المطلق بأن التاريخ لا يعيد نفسه، فإننا نرى أن التاريخ لا تحكمه مجموعة من الصدف العشوائية، وإنما تحكمه قوانين واتجاهات عامة، تجعل من المشابهة بين الحركة الصليبية في العصور الوسطى، والحركة الصهيونية في عصرنا الحالي، مسألة تستحق الدراسة والتأمل؛ ذلك أن المكونات الأساسية لكلا الحركتين متشابهة ومتماثلة في بعض الأحيان، فقد ارتبطت كلتا الحركتين بفكرة الخلاص والأرض الموعودة على نحو

شهدت فلسطين هجمة شرسة قادها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، والصهيونية في العصر الحديث ضد المسلمين في المنطقة العربية، واتخذوا من الدين شعارًا لهم يخفي أغراضهم الحقيقية المتمثلة بالاستيطان والسيطرة الاقتصادية

* البحث الحائز على المرتبة الأولى في مسابقة أفضل بحث في القضية الفلسطينية

ما، كما أن مفهوم شعب الله المختار يمثل ركناً هاماً من أركان الفكرة الصهيونية مثلما كان يشكل محور الفكرة الصليبية في العصور الوسطى، فضلاً عن أن كلاً من الحركتين كانتا إفرازاً للحقائق السياسة الاجتماعية، والسياسة الاقتصادية، في مجتمعات بعيدة عن المنطقة العربية، كذلك فإن القوة المسلحة كانت هي الوسيلة الفاعلة في كلتا التجربتين، فقد تم زرع الكيان الصليبي، والكيان الصهيوني بالقوة المسلحة، وعلى حساب المواطنين العرب الذين حل محلهم مهاجرون من خارج المنطقة، وكانت حالة الضعف والتفكك في العالم العربي والإسلامي؛ من أكبر عوامل النجاح لكل من الصليبيين في العصور الوسطى، والصهيونية في العصر الحديث، وكما كان الكيان الصليبي يستمد العون من الظهير الأوروبي، فإن الكيان الصهيوني لا يزال يعيش بفضل مساندة الظهير الأوروبي والأمريكي.

ومن ناحية أخرى، فإن مشكلات الكيان الاستيطاني المزروع في محيط بشري معادٍ، تظل متشابهة على الرغم من اختلاف الظرف التاريخي، فالغربة والعزلة، ونقص الموارد البشرية، والخوف الدائم من العرب الموجودين في الأراضي العربية المحتلة والحدود، كلها مشكلات عانى منها الصليبيون ويعاني منها اليهود.

وإذا كان التضامن العربي والإسلامي المشترك، وتوجيه موارد الأمة العربية في الصراع ضد الصليبيين، هو الذي كفل نجاح الأمة العربية في هذه المواجهة، فإن شرط العمل العربي المشترك يظل مفتاح النجاح في النضال ضد الكيان الصهيوني.

وكما أن المشروع الصهيوني في نشأته وصيرورته وأهدافه هو بنية استئصالية إقصائية للآخر، بهدف الحلول محله في المكان الجغرافي الذي كان يسكنه، واكتسابه لخصائصه البنيوية في الاستئصال والإقصاء من مصدرين: أولهما الكولونيالية الاستيطانية الأوروبية، وثانيهما ما استعاره من العهد القديم ليشكل منهما مضمونه الأيديولوجي، بما فيها من تأسيس للفكر الإبادي، وإسباغ صفة

كان تحويل فلسطين إلى كيان صليبي هدفا يراود الحركة الصليبية منذ زمن طويل، وأخيرا نجح البابا أوربان الثاني في تجسيد الفكرة في كليرمونت. بإرسال جيش مسيحي إلى الشرق للاستيلاء على الأرض المقدسة

القداسة عليه، وكذلك كانت مسوغات وديباجات المشروع الصليبي.

إن هذه النقاط التي تعطي لدراسة المقارنة بين الحركتين مشروعية علمية وسياسية، لا تلغي أو تنفي وجود نقاط أخرى للاختلاف والتباين بحكم مرور الزمن، وتراكم الخبرة التاريخية لدى الجانبين.

وقد اقتضت طبيعة دراسة الموضوع تقسيمه إلى مبحثين؛ تناول المبحث الأول الذي جاء تحت عنوان: "دراسة مقارنة بين الأيديولوجية الصليبية والصهيونية" الديباجات والمبررات والرموز الدينية، وقد ارتبطت الديباجات في كلا المشروعين بالأحلام الألفية في استرجاع فلسطين بعد عودة المسيح، أو التمهيد لعودته، فالحركتان الصليبية والصهيونية قامتا على عنصر توراتي مستمد من الكتاب المقدس، وهو فكرة الاختيار والأرض الموعودة.

أما المبحث الثاني فكان تحت عنوان "المسجد الأقصى تحت الاحتلالين الصليبي والصهيوني.. دراسة في الوقائع والذرائع" فجاء في محورين؛ تناول المحور الأول: أحداث العدوان الصليبي على القدس وما تعرض له سكانها من عمليات إبادة وتطهير، ومحاولات الصليبيين طمس عروبة القدس بتغيير هويتها الإسلامية، أما المحور الثاني: فتحدث عن السياسة الاستيطانية لتهويد القدس ومقدساتها، بهدف تهويد عروبة التراب، وتهويد المسجد الأقصى وإزالته، وإنشاء الهيكل اليهودي مكانه، كما تناول الفصل الاتفاقات الأيوبية-الصليبية، والمبادرات والمشاريع اليهودية لحل مسألة القدس.

الخطاب البابوي حمل دعوة صريحة لحكّام وأمراء أوروبا المسيحية الإقطاعية لاحتلال فلسطين، للخروج من الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الخانقة بسبب النمو السكاني، ونقص الإنتاج الزراعي

• المبحث الأول :

أ- أسطورة الأرض الموعودة :

احتلت الأرض حيزاً كبيراً من الصراع الإسلامي الصليبي في فلسطين، وتعود أصول هذا الصراع إلى بداية ظهور الحضارة الإسلامية وقيامها بحركة الفتوح الإسلامية، وتوحيد المنطقة، وتحويل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة إسلامية [١].

لذا كان تحويل فلسطين إلى كيان صليبي هدفاً يراود الحركة الصليبية منذ زمن طويل، وقبل تأسيس المملكة الصليبية عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م؛ حيث جرى التلميح إلى المخططات الصليبية للسيطرة على فلسطين في وقت مبكر يعود إلى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م. حين دعا البابا جريجوري السابع Gregory vII [٢] لحملة عسكرية نصرانية هدفها تحرير فلسطين، وبعد ذلك بعشر سنوات فكر الأسقف بنتسو pentso في زحف عسكري لتحرير القدس[٣]. وأخيراً نجح البابا أوربان الثاني Urban II في تجسيد الفكرة في كليرمونت Clermont عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. بإرسال جيش مسيحي إلى الشرق للاستيلاء على الأرض المقدسة terra sancta [٤] باعتبار أن فلسطين أرض ميراث مسيحي فقد قال البابا: "إن المرء إذا قرأ في الكتابات المقدسة والنبوءات... إن هذه الأرض كانت هي الميراث..."[٥] وأرض الآباء التي يجب استردادها بالقوة المسلحة "أيها الجنود المسيحيون يجب أن تدافعوا بالسلاح عن حرية أرض الآباء حقاً وعدلاً"[٦].

هكذا تمت صياغة الفكرة الصليبية على أساس ديني واضح، وكانت دوافع القوى الاجتماعية في الغرب الأوروبي للمشاركة في هذه الحرب مزيجاً من الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، عبرت عن نفسها تحت رداء الدين الذي تسربل به ذلك العصر؛ فخطبة البابا في كليرمونت كانت بمثابة الصياغة النهائية للفكرة التي أفرزت الحركة الصليبية [٧].

فالخطاب البابوي حمل دعوة صريحة لحكّام وأمراء أوروبا المسيحية الإقطاعية لاحتلال فلسطين، للخروج من الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الخانقة بسبب النمو السكاني، ونقص الإنتاج الزراعي، حيث عبر البابا أوربان في خطابه؛ عن أوضاع المجتمع الأوروبي بقوله "إن هذه الأرض التي تعيشون عليها محاطة بالبحر من كل جانب وتحوطها سلاسل الجبال، وتضيق بأعدادكم الكثيرة، وهى لا تفيض بالثروة الطائلة، وإنما لا تكاد تحقق من الطعام ما يكفي زرعها....انطلقوا على طريق الضريح المقدس"[٨] فالأرض شكلت

فكرة "أرض الميعاد" أو الأرض المقدسة كانت مقترنة بالجو الثقافي العام في أوروبا الكاثوليكية في القرن(٥هـ/١١م) وهو جو كان يتوقع نهاية العالم في وقت بعد الألف الأولى من ميلاد السيد المسيح

على الدوام أحد أهداف الغزو الصليبي لفلسطين؛ بصفته مشروعاً إقطاعياً استيطانياً قوامه استقدام المهاجرين الأوربيين، وإحلالهم في الأراضي الفلسطينية محل أصحابها الأصليين؛ فأوربان الثاني خاطب الجماهير المحتشدة في كليرمونت قائلاً: "أنقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب، واحكموها بأنفسكم؛ لأن هذه الأرض التي تفيض باللبن والعسل كما يقول الكتاب المقدس أعطاها الرب ملكاً لبني إسرائيل"[٩].

ولقد كان الاستيلاء على الأرض في بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة الشرط الضروري المسبق لاستيطان الأنحاء المختلفة من بلاد الشام؛ لذا أحاطت العقيدة الصليبية الأرض بهالة من القداسة؛ كما رفعت هذه العقيدة، مهمة تخليص الأرض المقدسة إلى مستوى الفريضة الدينية، فالبابا في كليرمونت دعا إلى حملة مقدسة هدفها الأول فلسطين اعتماداً على نصوص وردت في الإنجيل، لتخليص الأرض المقدسة من سيطرة المسلمين؛ هذه الأرض التي وصفها الكتاب المقدس بأنها تفيض باللبن والعسل[١٠] وأنها ميراث المسيح [١١] لذا طالب الجموع المحتشدة بقوله: "يجب أن تدافعوا بالسلاح عن حرية أرض الآباء حقاً وعدلاً "[١٢].

والمصادر المعاصرة التي ناقشت الحروب الصليبية تفيض بكلمتي الحرية libertas والتحرير libration وكان التحرير هو الكلمة الأكثر تواتراً على لسان البابا أوربان الثاني عندما دعا إلى الحرب الصليبية [١٣] وقد شمل مصطلح التحرير؛ تحرير الشعب أي نصارى الكنائس الشرقية، وتحرير الأماكن المقدسة [١٤] فالحرب الصليبية كانت حرب الجماعة المسيحية في سبيل الأرض المقدسة [١٥].

ولكن الأرض المقدسة نفسها كانت بدعة صليبية، فمع الحرب الصليبية كُفت فلسطين عن أن تكون أرض الميعاد terra repromissionis التي تحدث عنها العهد القديم، وأصبحت "الأرض المقدسة" terra sancta وقد سميت مقدسة لأن المسيح قد قدسها بحضوره الجسماني وبميلاده وبحياته بين البشر وموته وقيامته [١٦] وبهذه الصفة جرى اعتبارها وطن المسيح batria chsisti وميراثه inheritance [١٧]

جرى تصوير فلسطين بأنها مملوكة للعالم النصراني، ومن الواجب الدفاع عنها أو استردادها، وكانت هذه العبارة وحدها مبرراً لشن الحملات الصليبية

وترتب على ذلك منطقياً أن المسلمين الذين يحيون في فلسطين ليسو فقط مذنبين بتدنيس الأرض، بل أنهم أيضاً غزاة ومغتصبون لها، وبالمعيار نفسه كان الصليبيون وطنيين، مسيحيين أتقياء يحررون وطنهم، ويستردون مملكتهم الشرعية [١٨].

كما أن فكرة "أرض الميعاد" terra repromissionis أو الأرض المقدسة terra sancta كانت مقترنة بالجو الثقافي العام في أوروبا الكاثوليكية في القرن (٥هـ/١١م) وهو جو كان يتوقع نهاية العالم في وقت بعد الألف الأولى من ميلاد السيد المسيح، وذلك حوالي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، وهذا الجو العام جعل التنبؤات في أوروبا الكاثوليكية في ذلك الحين تتوقع نهاية العالم التي لا بد وأن تكون مقرونة في الفكر المسيحي بانتصار شعب الرب، على المسيح الدجال في أرض صهيون أو أرض الميعاد، لهذا روجت البابوية في دعايتها سواء أكان في خطب البابا أم في خطب المبعوثين البابويين إلى جميع أنحاء الغرب الأوروبي، لفكرة الأرض الموعودة أو الأرض المقدس [١٩].

هكذا كانت الأرض المقدسة تلخيصاً لما قد نسميه اليوم بالأيديولوجية الصليبية، والحال أن المساعي المبذولة لبلوغ هدف تلك الأيديولوجية قد تضاعف كمسيرة كبرى عبر أطلال أورشليم الأرضية إلى المدينة السماوية عبر الأطلال التي كانت نتاج المسيرة [٢٠] لكن الأرض المقدسة كانت غاية سامية لهذه الحرب.

فقد أثبت أدرمان كوهن في أبحاثه، أن الحملة الصليبية لم تكن ممكنة؛ إلاّ بعد أن مهدت الكنيسة لها بعرض نظرية الحرب المقدسة[٢١] وكونت فرقة من الفرسان النصارى [٢٢] معتبراً أن الإصلاح الكنسي في القرن (٥هـ/١١م) قد خلق الأساس لتشكيل الجماعة المسيحية، وحرب الجماعة المسيحية المقدسة مدفوعاً بفكرة الطهارة، فهدف الإصلاح الكنسي كان تطهير مجمل المجتمع المسيحي، وجرى فهم هذا التطهير بوصفه إصلاحاً معنوياً ودينياً[٢٣].

ومنطق الحرب الصليبية نفسه جعل الباباوات يَدْعُون إلى طرد العدو من الأرض المقدسة، حيث جرى اعتبار المسلمين خارج القانون، ولا

الصهيونية عملت على تسخير الديانة اليهودية لخدمة أغراضها وأهدافها السياسية، بالتركيز على ما يسمى العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين، وعرضتها بشكل يخدم المطامع الصهيونية

حقوق ولا أمن لهم "لأنهم ليسوا على الدين المسيحي"[٢٤]، فجريمة المسلمين المحددة والتي جرى توجيه الحملة الصليبية ضدهم بسببها، تكمن في تملكهم غير الشرعي للاماكن المقدسة [٢٥].

فأوربان الثاني وهو يدعو للحرب الصليبية، أشار إلى الأرض المقدسة، واعتبرها محتلة من جانب "الوثنيين" و"الكفار"[٢٦] لذا فأماكن ميلاد السيد المسيح، وحياته وموته، وقيامته يجب تطهيرها، فوفقاً لرواية جيوبرت فقد حث البابا أوربان الثاني النصارى على السعي بأقصى الجهود إلى "تطهير cleansing المدينة المقدسة ومجد القبر المقدس" وإحلال العنصر المسيحي فيها بدلاً من المسلمين، وأشار إلى أن البابا قال: "لا يمكن أن يحدث هذا (التطهير) ما لم تحل المسيحية محل الوثنية"[٢٧].

ويقدم فوشيه الشارتري مثالاً على الكيفية التي يجري بها هذا التطهير، فأشار إلى سعي البابا لطرد المسلمين من فلسطين، وكَتَبَ أن البابا حث في كليرمونت الفرسان والمشاة المسيحيين إلى "أن يسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من أراضينا"[٢٨].

ويرى الشارتري أن الرب نفسه هو الذي قرر الحرب، فأشار إلى أن البابا قال: "إن الله وليس أنا، يحثكم يا جنود المسيح على أن تحضوا الرجال مهما كانت رتبهم..."[٢٩].

هكذا تم ترسيخ صورة الحروب الصليبية في عقول الصليبيين؛ بأنها عملية تطهير كبرى للمكان Spatial Cleansing وتهدف إلى احتلال فلسطين، واستيطانها، وتهجير سكانها ليحل محلهم العنصر الصليبي.

ولم تكن فكرة التطهير قاصرة على الحملة الصليبية الأولى، ففي نشاطه التعبوي من أجل الحملة الصليبية الثانية، وفي المرسوم الذي أصدره البابا يوجنيوس الثالث من أجل الدعوة لها، وصف الحرب الصليبية الأولى بأنها حررت فلسطين "من دنس الوثنيين"[٣٠] واعتمد برنارد Bernard[٣١] أثناء دعوته للحملة الصليبية الثانية على كلام حشد من الأنبياء سعياً لتصوير فلسطين على أنها قفر،

اعتبر اليهود أنفسهم كالصليبيين ورثة الأرض المقدسة باعتبار أنهم ورثوها عن آبائهم وقد وجدت تلك المقولات طريقها للتنفيذ عبر النشاط الاستيطاني المستمر وتهجيز أهل فلسطين

ومنسيه لأنها ليست في أيدي شعب الرب "فالأرض لا تكون مأهولة إلا إذا كانت مأهولة بشعب الرب"[٣٢].

وبذلك جرى تصوير فلسطين بأنها مملوكة للعالم النصراني، ومن الواجب الدفاع عنها أو استردادها، وكانت هذه العبارة وحدها مبرراً لشن الحملات الصليبية، لذا ففي أثناء الحصار الصليبي على مدينة قيسارية[٣٣] في رجب ٤٩٤هـ/مايو١١٠١م خاطب البطريرك دايمبرت Daimbert[٣٤] سكان المدينة قائلاً: "..... إن مدينة قيسارية ليست ملككم أيها المسلمون، ولكنها كانت ملكاً للقديس بطرس الرسول، وسوف تظل ملكاً له .... وإذا أردنا نحن نواب القديس بطرس أن نسترد المدينة، فإن ما نفعله من استرداد لأملاك القديس بطرس ليس من قبيل السرقة لمدينتكم"[٣٥] هكذا برر الصليبيون استيلاءَهم على مدينة قيسارية بإضفاء الصفة الشرعية عليه، وظلت هذه الشرعية تفسر باستمرار من جانب رجال الدين الكاثوليك في المملكة الصليبية عند الاستيلاء على المدن والقرى العربية.

واللافت للنظر أن كل الجيوش التي خرجت في أواخر القرن(٥هـ/١١م) ابتداءً من سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م. إلى نهاية القرن، وطوال القرن(٦هـ/١٢م) لم تصف نفسها أو تصفها المصادر التاريخية بأنها حركة صليبية، ولكن المصطلح استخدم فيما بعد لتوصف به حركة لم يعرفها القائمون بالاسم ذاته [٣٦] وإنما عرفوها باسم الحرب المقدسة أو حرب التحرير أو حرب الاسترداد.

وكما ارتبطت الحركة الصليبية بفكرة الخلاص والأرض الموعودة، ارتبطت كذلك بها الحركة الصهيونية [٣٧] فالدوائر الصهيونية بدأت تروج لفكرة، ترى فيها بأن الحركة الصهيونية غدت سبيلاً لتحرير اليهود من حياة الشتات والمنفى، لحياة الاستقرار، وباتت هذه الدوائر تروج لفكرة أن الصهيونية ما هي إلا امتداد لفكرة الخلاص في اليهودية، أي أنها مرتبطة بقدوم المخلص الذي سوف يحرر اليهود، شريطة أن تتحقق العودة إلى الأرض الموعودة، لذا وصفها البعض بأنها حركة خلاص علمانية في الفكر والتنفيذ، وهو ما يعني أن زعماء

كان الصليبيون يعتقدون بأن الله اختارهم من بين كل البشر للقيام بالمهمة التي أخذوا على عاتقهم تنفيذها؛ وبذلك خاطبهم أوربان قائلا: "إنكم شعب الله المختار" وهكذا خرجت فكرة الحرب المقدسة إلى حيز التنفيذ

الصهيونية استغلوا فكرة دينية هامة في الدين اليهودي، وهي فكرة الخلاص[٣٨].

فالصهيونية عملت على تسخير الديانة اليهودية لخدمة أغراضها وأهدافها السياسية، بالتركيز على ما يسمى العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين، وعرضتها بشكل يخدم المطامع الصهيونية، فلو تم في الأيديولوجية الصهيونية إلغاء مفاهيم الشعب المختار، والأرض الموعودة لانهارت الصهيونية من أساسها[٣٩]؛ ذلك أن الفكرة الصهيونية بمفهومها الداعي لإرجاع اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة لهم فيها، لم تكن وليدة القرن(١٣هـ/١٩م) إذ يرجع تاريخها لنحو قرنين إلى الوراء، فخلال القرنين(١١-١٢هـ/١٧١٨م) ظهر مفكرون عديدون من بين اليهود أمنوا بتلك الفكرة، ودعوا إلى تحقيقها [٤٠] لذا أقر المؤتمر الصهيوني الأول[٤١] المنعقد في بازل خلال المدة ٢٠ ربيع الأول-٢ ربيع ثاني١٣١٥هـ/١٩-٣١ أغسطس١٨٩٧م أن هدف الصهيونية هو "إقامة وطن لليهود في أرض إسرائيل ومعترف به وفقاً للقانون الدولي [٤٢].

فالأرض شكلت على الدوام هدفاً أولياً للحركة الصهيونية، فمن خلال امتلاك الأرض، يمكن تنفيذ الانقلاب الديموغرافي؛ فالمشروع الصهيوني بصفته مشروعاً استيطانياً، يهدف إلى استملاك واحتلال الأرض؛ لاستقدام المهاجرين اليهود من بلاد الشتات المختلفة، وإحلالهم في الأراضي الفلسطينية محل أصحابها الشرعيين.

كانت الحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية تهدف إلى احتلال فلسطين واستيطانها وتهجير سكانها ليحل محلهم العنصر الفرنجي الصليبي

وهكذا كان الاستيلاء على الأراضي العربية بصورة أو بأخرى الشرط الضروري المسبق لاستيطان الأنحاء المختلفة من فلسطين، لذلك أحاطت الأيديولوجية الصهيونية الأرض بهالة من القداسة من خلال تشديدها على علاقة ثلاثية مزعومة لا تنفصم عراها بين "الله والشعب والأرض" كما رفعت هذه الأيديولوجية مهمة "افتداء لأرض" أي الاستيلاء على فلسطين، وطرد سكانها إلى مستوى الفريضة الدينية [٤٣] كما فعل الصليبيون من قبل.

ففكرة الترحيل والطرد كانت مرسخة في الفكر الصهيوني، باعتبار أن فلسطين حق يهودي منذ البداية، وتعود بصورة حصرية إلى

الشعب اليهودي ككل، ومن ثم فإن العرب الفلسطينيين هم غرباء عنها ومعتدون عليها، لذلك عمل إسرائيل زانغويل Israel zangwill [٤٤] مروج الحل القائم على الترحيل على نشر الشعار القائل بأن فلسطين "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"[٤٥] وفي سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤) أشار حاييم ويزمنHayem weizman [٤٦] إلى الفكرة نفسها حين قال: "هناك بلد صودف أنه يسمى فلسطين بلا شعب، وفي الجانب الآخر هنالك الشعب اليهودي وهو لا بلد له"[٤٧] فالأيديولوجيا الصهيونية اعتبرت فلسطين أرضاً خالية؛ لأنها لم تكن مأهولة من قبل اليهود، "فحكم عليها بالنفي طالما لم يكن هناك سيادة يهودية عليها"[٤٨].

لذا طالب الحاخام إسرائيل أرئيل Israel Ariel بطرد الفلسطينيين كما تنص عليه الوصايا الدينية اليهودية فقال: "من ناحية هنالك وصية بالتوطين في أرض إسرائيل .... إنها وصية الإرث والإقامة، وهي وصية ورد ذكرها مرات عدة في التوراة، ويدرك كل طالب شاب أن وصية الإرث والإقامة تعني الفتح واستيطان الأرض[٤٩] والتوراة تستخدم عبارة الطرد عدداً من المرات فتقول: "بما أنكم ستطردون سكان البلد بمساعدتي....." فجوهر هذه الوصية هو طرد سكان الأرض..... غير اليهود من إسرائيل (فلسطين) وتوطين اليهود فيها"[٥٠] بينما وصف الحاخام تسيفي كوك Tsephy coke [٥١] في خطاب له عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) فلسطين بأنها ميراث الآباء فقال: "إن جميع هذه البلاد لنا... ورثناها عن آبائنا... وكان واجباً علينا تحريرها، وعدم التخلي عنها"[٥٢].

الصهيونية عمدت إلى الاستفادة من الرموز الدينية لصياغة العبارات العنصرية مثل: "العرق النقي، وشعب الله المختار، وأرض الميعاد"!! لتبرير الشرعية التاريخية لحقوق اليهود على ما يسمونه "أرض إسرائيل"

ويرى يعقوب تالمون أن الصهيونية أدت مهمة مقدسة خارجة عن سياق حركة التاريخ، وهي مهمة إعادة شعب الله إلى أرض الميعاد، ولكنها اصطدمت ببعض العقبات التاريخية، التي أخرجتها عن سياق الحق الإلهي لشعب إسرائيل[٥٣] ويرى أن الصهاينة قد تحملوا عبء القيام بالمهمة المقدسة، وهي إعادة يهود الشتات إلى أرض الميعاد[٥٤] معنى ذلك أن تالمون فسر طرد الفلسطينيين من أرضهم بأنه تنفيذ لمشيئة إلهية.

يتبين لنا من الاقتباسات السابقة، بأن الصلة بين ملكية أرض فلسطين وترحيل سكانها، كانت متجذره في الفقه الكتابي اليهودي، فالأرض هي ملك بني إسرائيل المتوارث، بموجب العهد الذي أصدره الرب لجيل الآباء[٥٥] وبالتالي فإن إخراج غير اليهود وطردهم منها هو فعل شرعي، له سوابقه الشرعية القديمة، عندما طهر بنو إسرائيل أرض كنعان من الأقوام التي كانت تسكنها، لذلك حاجج بن غوريون بأن عودة اليهود إلى فلسطين، ما هي إلا تكرار لفتح يوشع لفلسطين القديمة، وبالتالي فإن إعادة فتحها تستوجب طرد سكانها بالقوة "إن علينا أن نطرد العرب ونحل محلهم، وإذا كان علينا أن نستخدم القوة....فإننا نمتلك القوة"[٥٦] وكتب موشيه شاريت عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م "أننا لم نأت إلى أرض خاليه لنرثها، بل أتينا لننتزع بلاداً من سكانها الذين يقيمون فيها، وهم يحكمونها بفضل لغتهم وثقافتهم الهمجية"[٥٧] أما زانغويل فكتب في إحدى مقالاته "علينا أن نتجهز لطردهم من الأرض بالسيف، تماماً مثلما فعل أسلافنا في شأن القبائل التي كانت قد احتلتها"[٥٨].

هكذا اعتبر اليهود أنفسهم كالصليبيين ورثة الأرض المقدسة باعتبار أنهم ورثوها عن آبائهم، ففي خطاب له أمام مجلس الوزراء عام(١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) قال بيجين Begin[٥٩] "إن حق الشعب (اليهودي) في أرض آبائه لا يمكن أن ينفصل عن حقه في السلام والأمن"[٦٠] فمفهوم استعادة الأرض لدى الحركة الصهيونية ينبثق، بعد إحاطتها بهالة من نصوص التوراة والتلمود، والتي تبرر سياسة الاحتلال والتوسع للأرض؛ التي يعتقد اليهود بوجوب عودتها إليهم[٦١] وقد وجدت تلك المقولات طريقها للتنفيذ عبر النشاط الاستيطاني الذي يشكل عند مؤسس الصهيونية الدينية هيرش كالشير Hirsch Kalischer "الدعامة الرئيسية لاحتلال الأرض المقدسة وفق نبوءة الأنبياء"[٦٢].

كانت مذبحة دير ياسين جزءاً من خطة (دالت) التي وضعتها المنظمات الصهيونية عام ١٩٤٨م، لنسف وتدمير القرى العربية، وطرد السكان العرب المحليين إلى خارج الحدود عن طريق التدمير والقتل وإشاعة جو من الرعب والهلع بين السكان الفلسطينيين

ب- أسطورة الشعب المختار :

في العصور الوسطى ادعى الصليبيون أن النصارى الكاثوليك هم شعب الله المختار، لتنفيذ مهمتهم بهزيمة أعداء الرب في أرض صهيون، ولأن العقيدة المسيحية تقوم على أساس أن المسيحيين هم بنو إسرائيل

الجدد، فإن اليهود يكونون قد فقدوا امتيازهم كشعب الله المختار؛ لأنهم رفضوا نبوة المسيح، وهذا ما بررته الكنيسة الكاثوليكية[٦٣] فقد كتب جيوبرت النوجنتي عن خطبة البابا في كليرمونت، رواية يظهر فيها أوربان الثاني متأثراً بالعهد القديم فأشار إلى أن البابا ذَكرَ المكابيين ثم دعا "الجنود المسيحيين إلى الاقتداء بهم"[٦٤].

ثم تحدد مجال الاختيار في دائرة أكثر ضيقاً، حينما وجه البابا في كليرمونت سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥م خطابه إلى الفرنسيين "الفرنج" في ذلك الوقت باعتبارهم شعب الله المختار لهذه المهمة، ولهزيمة أعداء الرب في الأرض التي وعد أبناءه بها؛ بوصفهم الشعب الذي اختاره الرب وأحبه "يا شعب الفرنجة ... يا من اختاركم الرب وأحبكم ... يا من تميزتم عن سائر الأمم بموقع أرضكم وعقيدتكم الكاثوليكية، والشرف الذي أوليتموه للكنيسة ... إليكم نتوجه بخطابنا نستحثكم..." [٦٥] فقد كانت الحروب الصليبية مشروعاً فرنسياً، وبرزت على السطح التقاليد الفرنسية القديمة القائلة بأن الفرنجة هم شعب الله المختار[٦٦] لذلك قارن أديمار Adhemir[٦٧] شعب أكوتين Aquitaine بأبناء إسرائيل[٦٨].

ففكرة الاختيار هي الأساس الذي جعل الحركة الصليبية يتوجه بها بابا فرنسي الأصل - البابا أوربان الثاني- إلى جماهير الفرنج أنفسهم في كليرمونت في فرنسا، وهذا ما جعل كل الحوليات العربية، والبيزنطية التي تحدثت عن الحروب الصليبية، تصف الصليبيين بالفرنجة على الرغم من أن المكوّن البشري للجيوش الصليبية لم يكن متجانساً عرقياً، حيث كان يجمع تقريباً كل الشعوب الأوروبية في ذلك الحين، ورغم هذا فقد كان الفرنجة سكان بلاد الغال التي عرفت باسم فرنسا فيما بعد؛ أكثر إقبالاً من غيرهم على المشاركة في الحركة الصليبية باعتبارهم شعب الله المختار المنوط به تنفيذ هذه المهمة[٦٩] وتشير بعض المصادر اليهودية إلى الفرنجة بكلمة أشكناز، وهي الكلمة التي استخدمت فيما بعد للإشارة إلى يهود أوروبا خصوصاً ألمانيا وبولندا[٧٠].

الأسس العقائدية التي ارتكزت عليها مذبحة دير ياسين، وغيرها من المذابح، وعمليات العنف والإرهاب الصهيونية، بنيت على نظرية الأرض الموعودة، وشعب الله المختار، التي تضع اليهود في مرتبة أعلى من بقية البشر

وفي الواقع كان الصليبيون معتقدين بأن الله اختارهم من بين كل

البشر للقيام بالمهمة التي أخذوا على
عاتقهم تنفيذها؛ فقد خاطبهم أوربان قائلاً: "إنكم شعب الله المختار، وأنكم تخلصتم من المحن ... وقد منح الرب، قائدكم، أبواب المدن التي لا يمكن اختراقها، وكَسَبَ لكم معارك رهيبة"[٧١].

وهكذا خرجت فكرة الحرب المقدسة إلى حيز التنفيذ، وكان الإصلاح الكنسي الذي قادته الأديرة الكنلونية، والسياسة البابوية، ونظرية الحرب المقدسة التي تطورت منذ فكرة القديس أوغسطين[٧٢] عن الحرب العادلة حتى صارت أمراً يجلب مرضاة الرب؛ هي الخلفية التي استندت إليها خطبة البابا في كليرمونت، وهذه العناصر هي التي شكلت الروح التي دفعت الجهود الدعائية التي ساهمت في تشكيل الجيوش التي توجهت إلى فلسطين باعتبارهم "جنود المسيح" [٧٣] للقيام بمهمة الاسترداد والتطهير، وكان للنشاط التعبوي والدعاية التي اذكت البابوية نيرانها ضد المسلمين، قد جعلت نفوس الصليبيين تضطرم بالرغبة في قتل المسلمين.

لذلك كانت سياسة تفريغ الأرض المقدسة، وتهجير سكانها؛ قد بدت ملامحها تظهر عشية استيلائهم على المدينة المقدسة يوم الجمعة ٢٢ شعبان٤٩٢هـ /١٥يوليو١٠٩٩م؛ حيث أقدمت القوات الصليبية الغازية على ارتكاب مجازر جماعية، واستخدموا عمليات القتل المبرمج ضد السكان، فقاموا بارتكاب مجزرة وحشية ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من سكان المدينة، وأفاضت المصادر المعاصرة لتلك الفترة في وصف تلك المجازر وهمجية ووحشية الصليبيين[٧٤] فضلاً عن عمليات الضغط النفسي والاقتصادي، مستغلين حالة الضعف السياسي والخلاف المذهبي والطائفي الذي كان سبباً رئيساً في تمزيق وحدة المسلمين، وخذلانهم في مواجهة الغزو الاستعماري الذي هدف إلى احتلال الأرض واستيطانها ونهب خيراتها[٧٥].

وعليه فقد كانت الحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية تهدف إلى احتلال فلسطين واستيطانها وتهجير سكانها ليحل محلهم

كانت سياسة تفريغ الأرض المقدسة، وتهجير سكانها؛ قد بدت ملامحها تظهر عشية استيلائهم على المدينة المقدسة يوم الجمعة ٢٢ شعبان٤٩٢هـ /١٥يوليو١٠٩٩م.

العنصر الفرنجي الصليبي؛ فالحروب الصليبية كانت حروب إبادة، وأن الدعوة لإبادة المسلمين قد قال بها الباباوات كما قال بها القديس برنارد عندما اعتبر "أن قتل الكافر ليس قتلاً لإنسان بل هو إبادة للشر، وأن قتل الوثني هو مجد مسيحي، ففي هذا القتل يجري تمجيد المسيح"[٧٦] وقد اتضحت رؤيته لاستيطان تلك الأراضي بضرورة استحواذ المسيحيين الكاثوليك عليها، فالأرض المقدسة لا تكون مأهولة في نظره؛ إذا كانت غير مأهولة بشعب الرب، وهو الشعب الوحيد الجدير بالاهتمام، وعلى ذلك فقد دعا برنارد لطرد المسلمين من فلسطين وتفريغها من سكانها[٧٧].

هكذا وبحلول أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي كانت الحركة الصليبية، قد كُفْت عن أن تكون حركة من أجل تحرير الأرض المقدسة، وأصبحت بدلاً من ذلك "حركة لإبادة المسلمين"[٧٨] ولتحقيق ذلك اتبع الفرنج خلال احتلالهم لفلسطين؛ سياسة تهدف إلى تفريغ الأرض من سكانها الأصليين سواء أكان ذلك بالقتل أم بالتهجير أم بالطرد، وتوطين المستوطنين القادمين من الغرب الأوروبي مكانهم[٧٩].

فالباحث المتأمل لواقع الحركة الصليبية، يدرك من فوره أنها ذات طابع عنصري تعصبي ضد من هو غير نصراني كاثوليكي، لذلك فلا عجب أن ارتبط بها طابع دموي لا يُنكر أثره، بحيث ظهر منذ بداية المشروع الصليبي أنه مشروع دموي تتكرر فيه المذابح والمجازر الجماعية التي ارتكبها الصليبيون ضد أعدائهم المسلمين، وخلال ذلك تم قتل عشرات الآلاف من السكان، وجاء ذلك وسط موجة عارمة من الكراهية والعداء والرغبة في القتل لكل من لا يدين بالمسيحية الكاثوليكية[٨٠].

وكما كان مفهوم غزو الأرض أحد الأسس التي استندت إليها الأيديولوجية الصليبية، كان غزو الأرض كذلك أحد المرتكزات التي استند عليها البرنامج الاستيطاني الصهيوني، الذي ينادي بالاستيلاء على أرض فلسطين؛ حتى يمكن إنقاذها من أيدي الأغيار[٨١] وعن طريق غزو الأرض يطهر اليهودي نفسه، فالشريعة اليهودية تدعو للتفريق بين اليهود والأغيار- أي بين اليهود والشعوب التي تقع خارج

كانت الحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية تهدف إلى احتلال فلسطين واستيطانها وتهجير سكانها ليحل محلهم العنصر الفرنجي الصليبي

دائـرة القداسـة- علـى اعتبـار أن اليهود هم "شـعبُ الله المختار، وشـعبٌ مقدس يحل فيه الإلـه"[٨٢]؛ فقـد كتب الحاخام كوك في سـنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. "بأن الجيش الإسـرائيلي كله مقدس لأنه يمثل حكم شعب الله على أرضه[٨٣].

فالصـهيونية عمدت إلى الاسـتفادة من الرموز الدينية لصياغة العبارات العنصرية مثل "العرق النقي" "وشعب الله المختار" "وأرض الميعاد" لتبرير الشرعية التاريخية لحقوق اليهود على ما يسـمونه "أرض إسـرائيل" ولتوظيف أهدافها الاسـتعمارية الاسـتيطانية في فلسـطين، ولتقـديم المبررات الأيديولوجية للسياسـات الصـهيونية، التي تسـتند على المعتقـدات الدينيـة اليهوديـة، وهو ما أكده بن غوريون في رسـالة له لشـاريت Sharett[٨٤] عـام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. قائلاً: "ليس لنا أن نفصـل الدين عن الدولة، فهناك وحدة مصـير بين دولة إسرائيل والشعب اليهودي"[٨٥] فثمة ربط صهيوني بين مقولتي "الشعب المختار وأرض الميعاد" لتسـويغ عودة اليهود إلى "أرضـهم الموعودة في فلسـطين" التي ترتبط مع إسرائيل حسب بوبر Beber "بعلاقة تاريخية وفق عهد بين الله واليهود، ومعتقد توراتي بأن الأرض (أرض فلسـطين) هدية مقدسـة" مسـبغاً سـمة "الاختيار الإلهـي علـى الشـعب والأرض"[٨٦] معنـى ذلـك أن الصـهيونية خلعت القداسـة التـي أضـفيت علـى الشـعب اليهـودي بالمعنـى الدينـي، على الشـعب اليهـودي بالمعنـى العرقـي والإثني، لـذا يرى بوبر أن الشـعب اليهـودي أمة تحمـل وحياً دينياً، وطائفة دينيـة تم اختيارها من الرب كمـا الأرض، فالأمة اليهودية برأيـه لم "تأت للوجود من خلال تطور تاريخـي، وإنمـا عـبر تدخل إلهـي مباشـر، وبذلك يتحـول اليهود إلى شعب من الأنبياء"[٨٧] باعتبار "أن روح الأمة اليهودية تكمن في توراته التي نُقحت لتمجيد الذات اليهودية"[٨٨].

يتبـين لنـا مـن النصـوص السـابقة، أن الديـن لم يكـن في المشـروع الصـهيوني علـى هامش الأيديولوجيـة الصـهيونية، وإنمـا "اسـتقت رموزهـا القوميـة وأفكارهـا، مـن الـتراث الدينـي، ثـم أفرغتهـا مـن محتواهـا الروحـي والأخلاقـي، ونقلتهـا مـن مجالهـا الدينـي، حيث

كـان مـفـهـوم غـزو الأرض أحـد الأسس الـتـي اسـتـنـدت إلـيـهـا الأيـديـولـوجـيـة الصليبية، كما كان غزو الأرض أحد المرتكزات الـتـي اسـتـنـد عـلـيـهـا البرنامج الاستيطاني الـصـهـيـونـي، الـذي يـنـادي بـالاسـتـيـلاء على أرض فلسطين

تجد شرعيتها الوحيدة، إلى المجال السياسي"[٨٩] وهو ما عبر عنه كلاتزكين Klatzkin بقوله: "إن الدين اليهودي يمكن أن يساهم في بلورة الروح القومية للشعب اليهودي"[٩٠] وبذلـك تمتاز الصـهيونية لا بتبني مصـطلحات دينية، مثل شـعب الله المختـار، أو الحدود التوراتيـة أو الاسـتيطان والهجـرة، وتحويلها إلى أفكار قومية، فحسـب بل أيضـاً "بتبني سـمة بنيويـة أساسـية في التيـار الحلولي اليهودي، وهـو الاتجاه نحو المزج العضـوي؛ بين المقدس والقومي والمطلق والنسبي"[٩١].

وإسـرائيل لم تتوقـف رغـم ادعاءاتها القوميـة والعلمانية، عـن تقديم نفسـها بأنها دولة يهوديـة قائمـة على الوعد الإلهي المقطوع في أسـفارها لشـعب الله المختـار، وبالتالي أنهت العمل بأية إسـتراتيجية أخرى لا تأخذ البعد الديني في الصـراع، في حسابات السياسة[٩٢] لذلـك ذهبـت نائبه وزيـر الخارجية تسـيبي حوطوبلـي Tzipi Hotobla للقـول: بـ "أن أرض إسرائيل أعطيت لشعب إسرائيل"[٩٣] وكتب إسحاق رابين Ishaq Rabin[٩٤] "إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة؛ فلا بد من امتلاك أرض التوراة" استناداً إلى "جغرافيا التوراة" ذات الحدود "الممتدة من النيل إلى الفرات" التي تحدث بها بن غوريون منذ عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م[٩٥] وحين سـئل موشية ديـان Moshe Dian [٩٦] عمـا إذا كانـت مطالـب إسـرائيل الدينيـة والتاريخية بخصـوص بعض أجزاء فلسـطين؛ أيجب أن يكون لها دور في السياسة اليهودية أجاب قائلاً: "هذا هو أساس الوجود الإسرائيلي، إنـه وأحـد من العناصـر الثلاثـة التي يجب أن تُشـكل إسـرائيل، وهي الشـعب اليهودي، والكتـاب المقدس، وأرض اليهود، لذلـك إذا اجتمعت التـوراة وأمـة التـوراة؛ فلا بـد أن تكون معها أيضـاً أرض التـوراة"[٩٧] ووصـف مـيرون بنفنسـتي Meron Benvenisti [٩٨] الصـراع بـين الفلسـطينيين واليهـود بأنـه صـراع بـين مجموعـة شـرعية (اليهود) وسـكان محليـين صـادف أنهم يحتلـون تلـك الأرض (فلسـطين) بغير وجه حق"[٩٩].

وقـد تحوّل هذا الموقف اليهودي من الأغيار إلى أيديولوجية عدوانية

إسـرائيـل لم تـتـوقـف رغـم ادعـاءاتـهـا الـقـومـيـة والعلمانية، عن تـقـديم نفسها بـأنـهـا دولـة يـهـوديـة قائمة عـلـى الـوعـد الإلـهـي المقطوع في أسـفـارهـا لشعب الله المختار

ثم تحولت إلى ممارسة عملية؛ فتفريغ فلسطين من كامل سكانها أو معظمهم كان أحد ثوابت الفكر الصهيوني، فقد أوصى بن غوريون Ben Gurion[١٠٠] جيشه قائلاً: "إن عليكم أن تقترفوا بقسوة بهدف تحطيم المدن العربية أو طرد سكانها حتى يُمْكِن اليهود منها"[١٠١] ومن أجل تحقيق هذا الهدف هُجر عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م أهالي ستمائة وخمس وسبعين "٦٧٥" مدينة وقرية فلسطينية إلى حوالي ستمائة منفى[١٠٢] وأرغم حوالي تسعمائة ألف فلسطيني على الفرار، وطردوا من الأراضي التي احتلها الصهاينة[١٠٣] إما بالترهيب، وإما بالقوة، وذلك بموجب فكرة الترحيل التي طالما نادت بها الصهيونية[١٠٤] فالغزو الصهيوني لفلسطين تّمَ مثلما تّمَ الغزو الصليبي لفلسطين، عن طريق الإرهاب واغتصاب الأرض من أصحابها الشرعيين؛ فالحركة الصهيونية لم تكن حركة استعمارية فحسب، وإنما هي حركة استيطانية إحلاليه، وهو ما يعني ضرورة أن تخلى الأرض التي سينفذ فيها المشروع الصهيوني من سكانها الأصليين، ولا يمكن أن يتم هذا الإخلاء والترحيل؛ إلا من خلال اتباع أقصى درجات العنف والإرهاب[١٠٥] فالهجرة والاستيطان والسيادة بالقوة، تُشكل أهم وظائف الدولة وأهدافها بصفتها "أدوات التجسيد الصهيوني لإعادة الشعب (المختار) إلى أرضه"[١٠٦].

الحركة الصهيونية لم تكن حركة استعمارية فحسب، وإنما هي حركة استيطانية إحلاليه، وهو ما يعني ضرورة أن تخلى الأرض التي سينفذ فيها المشروع الصهيوني من سكانها الأصليين

لذا ارتكب اليهود حوالي سبعين مذبحة ومجزرة بشرية[١٠٧] أثارت الرعب والفزع بقلوب العرب، فقتلوا آلاف العرب، بغرض التهجير الجماعي للباقين من أرضيهم، وكانت المذابح اليهودية تتسم بأنها ذات طابع إبادي لتبث الرعب والذعر في نفوس العرب الفلسطينيين فيهربون، وبذا تتم عملية التطهير العرقي. كما كانت بعض فرق الإرهاب الصهيونية[١٠٨] ترتكب المذابح للانتقام ولتلقين العرب الفلسطينيين درساً في عدم جدوى المقاومة[١٠٩] ومن هذه المذابح؛ مذبحة دير ياسين[١١٠] في ٩ جمادي الآخر ١٣٦٧هـ/١٩ أبريل ١٩٤٨م[١١١] حيث كانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل إحدى الوسائل التي انتهجتها المنظمات الصهيونية المسلحة من أجل السيطرة على فلسطين تمهيداً لإقامة الدولة الصهيونية، فكتب بيجين يقول:

"إن مذبحة دير ياسين أسهمت مع غيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من ستمائة وخمسين ألف عربي..... ولولا دير ياسين لما قامت إسرائيل"[١١٢].

فلقد كانت مذبحة دير ياسين جزءاً من خطة وضعتها المنظمات الصهيونية في جمادي الأول ١٣٦٧هـ/مارس ١٩٤٨م. عرفت باسم خطة "دالت" وكانت تهدف إلى "نسف وتدمير القرى العربية، وطرد السكان العرب المحليين إلى خارج الحدود" عن طريق التدمير والقتل وإشاعة جو من الرعب والهلع بين السكان الفلسطينيين، باستخدام القوة والعنف، والمذابح المتكررة؛ مما دفعهم إلى الفرار من ديارهم[١١٣].

فالأسس العقائدية التي ارتكزت عليها مذبحة دير ياسين، وغيرها من المذابح، وعمليات العنف والإرهاب الصهيونية، بُنيت على نظرية الأرض الموعودة، وشعب الله المختار، التي تضع اليهود في مرتبة أعلى من بقية البشر، الأمر الذي تُصبح فيه جريمة إبادة الجنس العربي المسلم عملاً مطلوباً بحد ذاته، ولهذا عملت إسرائيل بعد إقامتها على طمس المعالم العربية التاريخية بهدم المدن والقرى، وإزالة الشخصية الفلسطينية الإسلامية عنها، لتقيم المستوطنات مكانها حتى لا يبقى ما يثبت عروبة فلسطين في المستقبل[١١٤] ولخص بن غوريون عمليات التطهير العرقي التي أفرغت فلسطين من سكانها لاسترداد الأرض المقدسة؛ باعتبارها ميراث يهودي بقوله: "إن أحد مفسري التوراة يهوداً كانوا أم غير يهود؛ في العصور الوسطى أم في العصر الراهن، لم يتمكن من تفسير فصول يهوشواع[١١٥] كما فعلت مغامرات قوات الجيش الإسرائيلي في العام ١٩٤٨م."[١١٦].

الغزو الصهيوني لِفلسطين تم مثلما تم الغزو الصليبي لفلسطين، عن طريق الإرهاب واغتصاب الأرض من أصحابها الشرعيين من خلال اتباع أقصى درجات العنف والإرهاب

الهوامش :

(١) جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث. تراث الإسلام، ترجمة محمد السمهوري وآخرون، سلسلة عالم المعرفة، العدد٢٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م، ج١، ص٨٥،٨٦.

(٢) جريجوري السابع: كان راهبا من أصل توسكانى، تولى الكرسي البابوي من سنة ١٠٧٣- ١٠٨٥م وكان طموحا حتى لقد اتهمه أعداؤه بحب السيطرة والسيادة، وفى عهده بدا الكفاح العنيف بين البابوية والإمبراطورية على الأمور الدنيوية وفى عهده استقلت

البابوية استقلالا تاما في الناحيتين الدينية والسياسية. هارتمان وباراكلاف. الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٨٤م، ط٢، ص٤٩،٥٠.

(٣) ماستناك، توماس ماستناك، السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٣م، ط١، ص١٧١.

(٤) رواية بلدريك الدوللى عن مجمع كليرمونت، في قاسم، قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١م، ط١، ص٨٧.

(٥) رواية جيوبرت النوجنتى عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق تاريخية، ص٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٢.

(٧) قاسم، الخلفية الأيديولوجية، ص٧٢،١١٦.

(٨) رواية روبير الراهب عن مجمع كليرمونت، في قاسم، الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق تاريخية، ص٧٩.

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٩.

والمقصود ببني إسرائيل هنا المسيحيين لا اليهود وذلك لأن المسيحية نزلت لهداية اليهود فقد قال تعالى في حق سيدنا عيسى "ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم" سورة آل عمران آية ٤٩.

(١٠) رواية روبير الراهب عن مجمع كليرمونت، في قاسم، الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق، ص ٧٩. وينظر رواية بلدريك الدوللي، ص٨٧.

(١١) رواية جيوبرت النوجنتي عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق، ص٨١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(١٣) خطاب البابا أوربان الثاني إلي كل المؤمنين في الفلاندر ديسمبر١٠٩٥م، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية نصوص ووثائق تاريخية، ص٩٠. خطاب أوربان الثاني إلى جماعة دير فالومبروسا، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق تاريخية، ص٩١.

(١٤) ماستناك، السلام الصليبي، ص١٧١.

(١٥) المرجع نفسه، ص١٧٠.

(١٦) رواية بلدريك الدوللى عن مجمع كليرمونت، ترجمة، قاسم، الحملة الصليبية، ص٨٧

(١٧) رواية جيويرت النوجنتي عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة، ص٨١.

(١٨) الشارتري، فوشيه الشارتري. تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠م. ط١، ص٣٦.

(١٩) رواية جيوبرت النوجنتي عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية، ص٨٣. الصوري، وليم الصوري. تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م. ٢ج، ط١، ص١٦٩. الفيتري، يعقوب الفيتري. تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨م، ط١، ص٢١. سميث، جوناثان ريلي سميث الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، النهضة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ط٢، ص٤٦،٧٠،١٠٦. كوهن، نورمان كوهن. الحركات الدينية في أوروبا

الوسيطة ودورها في صنع أحداث الحروب الصليبية، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج٤، ط١، ص١٠،٦٣،٦٦.

(٢٠) رواية بلدريك عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية، ص٨٧.

(٢١) كوهن، الحركات، ص٣٠-٨٠.

(٢٢) يذكر أن البابا جريجوري السابع قد كون جيشاً عرف باسم جيش القديس بطرس Militia sancti petrs وكان بمثابة القوات الحربية التابعة للكنيسة. قاسم، القراءة الصهيونية للتاريخ، ص١٣. قاسم، قاسم عبده قاسم. القراءة الصهيونية للتاريخ، "الحروب الصليبية مثالاً"، سلسلة دار الهلال، العدد ٦٤٩، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٥م. ط١، ص١٣.

(٢٣) ماستناك، السلام، ص١٧٧.

(٢٤) الأغا، حسام الأغا. الأوضاع الاجتماعية في فلسطين فترة الحروب الصليبية"٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٨-١٢٩١م" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٨٩،٩٠.

(٢٥) الشارتري، تاريخ الحملة، ص٣٦. رواية روبير الراهب عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية، ص٧٨.

(٢٦) وصفت المصادر الأجنبية المعاصرة المسلمين بالعديد من الألفاظ مثل الكفرة والوثنيين والكلاب؛ فحين تم انتخاب جودفري حاكماً على القدس في ٢٢ يوليو١٠٩٩م. تقرر أن مهمته تتمثل في حماية المسيحيين وقتال الوثنيين أو الكفرة. مجهول. أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، ١٩٥٨م. د.ط، ص١٢٠. توديبود، بطرس توديبود. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ط١، ص٣١٣. الصوري، ليم الصوري. تاريخ، ج١، ص ٣٢٢.

(٢٧) رواية جيوبرت عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، ص٨٣.

(٢٨) الشارتري، تاريخ الحملة، ص٣٦.

(٢٩) تاريخ الحملة، ص٣٦.

(٣٠) نقلاً عن ماستناك، السلام، ص١٧١.

(٣١) القديس برنارد: وهو راعي دير كليرفو، وقد كلفه البابا يوجينوس الثالث للقيام بالدعوة للحملة الصليبية الثالثة وقام بالطواف في برجنديا واللورين والفلاندر وغيرها من مناطق الغرب الأوروبي، وقام بدور يشبه دور أوربان الثاني الذي دعا للحملة الصليبية الأولى، يعتبر مؤسساً لدار الرهبنة البنديكتيه في كليرفو، وقد وصف بأنه على قدر كبير من الذكاء والقدرة على الخطابة. الصوري، تاريخ، ج٢، ص ٧٥٨، ٧٥٩. دويل، أودو أوف دويل. لويس السابع إلى الشرق، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م، ج٧، ط١، ص١٣،١٤. زابوروف، ميخائيل زابوروف. الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، د.ط.، ص١٧٢، ١٧٣.

(٣٢) ماستناك، السلام، ص ٢٤٤.

(٣٣) قيسارية: تعد من أجمل مدن فلسطين وجعلها الرومان عاصمة فلسطين الأولى وعرفت في البداية باسم دور DOR، وكما عرفت باسم برج ستراتو، وقام حاكم هيرود بإعادة بنائها وسماها قيسارية وتبعد عن عكا ٢١ ميلا (سبع فراسخ) وتشتهر قيسارية بخصوبة أرضها، استولى عليها الفرنجة في٤٩٤هـ/١١٠١م واستعادها الظاهر

بيبرس سنة٦٦٣هـ/١٢٦٥م لم يبقى منها سوى أثار. خسرو، أبو المعين ناصر خسرو(ت ٤٨٢ هـ/١٠٨٨م): سفرنامه، تحقيق يحيي الخشاب، دار الكتب الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨٣م.، ط٣، ص٥٤. دانيال الراهب. وصف الأرضي المقدسة في فلسطين"١١٠٦-١١٠٧م" ترجمة سعيد البيشاوي، و داوود أبو هدبه، دار الشروق، ٢٠٠٣م، ط١، ص٨٦. الحموي، شهاب الدين ابن أبي عبد الله (ت٦٧٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت،ج٤، د.ط، ص٤٢١. بورشارد من دير جبل صهيون• وصف الأرضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٥م. ط١، ص١٦١.

(٣٤) دايمبرت: أصبح دايمبرت الرئيس الأول لأساقفة بيزا عندما رفعت هذه المدينة إلى أسقفية بإضافة كورسيكا إليها، التي كان البيزيون انتزعوها من المسلمين، وقد شارك في الحملة الصليبية باعتباره قائدا للأسطول البيزي، حيث حضر مع عدد من المرافقين إلى ميناء اللاذقية، عينه البابا أوربان كممثل بابوي، ونائبا ليخلف أدهمار الذي توفى في شهر آب ١٠٩٨م بأنطاكيا اختير بطريركا للقدس في صفر ٤٩٣هـ/ ديسمبر١٠٩٩م. الصوري، تاريخ، ح١، ص٤٦٤، هامش ١.

(٣٥) براور، يوشع براور الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا، ط١،عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، سنة ٢٠٠١م، ط١، ص٥٦٧.

(٣٦) ماستناك، السلام، ص ١٤٧،٩٥. قاسم عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجية—الدوافع—النتائج، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ،٢٠٣م. ط١، ص١٣-١٦.

(٣٧) الصهيونية: حركة سياسية عنصرية أحيت فكرة الميعاد وإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين بحجة الحقوق التاريخية لليهود في تلك الأرض كوسيلة لحل المسألة اليهودية، وكلمة الصهيونية اشتقها الكاتب اليهودي ناثان برنباوم (١٨٦٤- ١٩٣٧م) من كلمة صهيون ليصف بها الاتجاه الجديد بين صفف اليهود، وصهيون اسم ربوة في القدس وصحراء سيناء، وقد ظهرت هذه الحركة في منتصف القرن(١٩م). المسيري، عبد الوهاب الميسري، الأيديولوجية الصهيونية، د.ن، الكويت، ١٩٩٢م، ط١، ص٩٥. التميمي، عبد المالك التميمي. الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد٧١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣م. ص١٠٩، هامش(١).

(٣٨) المسيري، الايديولوجية، ص١١٧-١٣٠. سعد الدين، نادية سعد الدين، الحركات الدينية والسياسية ومستقبل الصراع العربي الاسرائيلي، مركز الجزيرة للدراسات قطر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م.، ص١، ص١٤١،١٤٢.

(٣٩) قاسم، القراءة الصهيونية، ص١٥٣.

(٤٠) ناثان ونستون، إسرائيل ضد الصهيونية، ص ٣١٥ ، نقً لا عن جرودي، الأساطير، ص ١٥٥.

(٤١) المؤتمر الصهيوني الأول: عقد في مدينة بازل السويسرية في الفترة ما بين ١٩-٣١ أغسطس١٨٩٧م. حضره مائتان وأربعة أعضاء يمثلون سبع عشرة دولة، جاء نحو سبعون من أولئك المندوبون من روسيا وحدها، وتم في المؤتمر انتخاب هرتسل رئيساً له. الحوت، بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة، دار الاستقلال، بيروت، سنة ١٩٩١م ط١، ص٣٤٧.

(٤٢) جريس، صبري جريس. تاريخ الصهيونية، ج١، ط١، د.ن.، القدس، ١٩٨٧م، ج١، ص١٥٤-١٥٨. الحوت، فلسطين، ص٣٤٧.

(٤٣) المسيري، الأيديولوجية، ص١٢٨-١٣٣.

(٤٤) إسرائيل زانغويل: كاتب يهودي بارز من أصل انجليزي، كان مساعداً لتيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية السياسية، ووثيق الصلة به. مصالحة، نور الدين مصالحة أرض أكثر وعرب اقل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٧م، ط١، ص٧٩.

(٤٥) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٤٦) حاييم ويزمن: ولد في بلدة مولته بروسيا البيضاء في ١٨٧٤/١١/٢٧م حصل على شهادة الدكتوراه في الكيمياء سنة١٨٩٩م. أصبح عضوا في اللجنة التنفيذية المنظمة الصهيونية سنة١٩٠٥م. وفي عام١٩٢٠م. انتخب رئيساً للحركة الصهيونية العالمية، وفي سنة ١٩٢٩م.انتخب رئيساً للوكالة اليهودية وفي ١٩٤٩م. أصبح أول رئيساً لإسرائيل. منصور، جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية، رام الله، ٢٠٠٩، ط١، ص٥١١.

(٤٧) مصالحه، أرض، ص٧٩.

(٤٨) بيتربيرغ، غابرييل بينربيرغ، المفاهيم الصهيونية للعودة أساطير وسياسات ودراسات إسرائيلية، ترجمة سلافة حجازي، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، كانون أول ٢٠٠٩م، ط١، ص١٢١،١٢٠.

(٤٩) جاء في التوراة ما نصه "إنكم ستجردون جميع سكان الأرض من ممتلكاتهم" والتوراة تعيد هذه الوصية عشرات المرات ويشرح راشيل (الحاخام شلومو بتسحاقي المعلق الأكبر على التوراة والتلمود في القرن الحادي عشر) القول بأنكم "سوف تجردون أي سوف تطردوا". مصالحة، أرض، ص٢٢٥،٢٢٦.

(٥٠) مصالحة، أرض، ص٢٢٦٢٥.

(٥١) الحاخام تسفي كوك: هو الحاخام تسفي يهودا كوك كان أبوه حاخاماً لدولة الكيان، لعب دوراً بارزاً في نشر التعليم الديني الثانوي في إسرائيل، وأصبح رئيساً لمدرسة مركاز هراب في القدس، التي تخرج منها زعماء حركة غوش أمونيم، كان يدعو إلى التقرب اليهود من الديانة اليهودية من خلال المحبة وليس من خلال الإكراه. روبنشتاين، داني روبنشتاين، غوش أمونيم الرجة الآخر للصهيونية، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٣م، ط١، ص١٣،١٤

(٥٢) روبنشتاين، غوش أمونيم، ملحق رقم (١) ص٨٧.

(٥٣) لطيفة الزيات، "صورة الذات الصهيونية من واقع كتاب إسرائيلي"، مجلة المواجهة، بيروت، يونيو١٩٨٣م، ع١، ص٣٥.

(٥٤) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٥٥) جارودي، رجاء جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، دار الغد العربي، القاهرة، عام ١٩٩٦م، ط١، ص٣٦.

(٥٦) سخنيني، عصام سخنيني، الجريمة المقدسة لإبادة الجماعة من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، أغسطس ٢٠١٢م، ط١، ص٧٧،٧٨.

(٥٧) المرجع نفسه، ص ص٧٨.

(٥٨) المرجع نفسه، ص ص٧٤.

(٥٩) بيجين: عمل وزيراً بلا حقيبة في حكومة الوحدة الوطنية عام ١٩٦٧م. وشغل منصب رئيساً لوزراء إسرائيل منذ عام ١٩٧٧-١٩٨٣م وزعيم حركة حيروت منذ ما قبل قيام الكيان الإسرائيلي وحتى نفس التاريخ. بيجين، مناحيم بيجين. التمرد قصة الأرغون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، عام١٩٧٧م، ط١.

(٦٠) تاريخ الخطاب ٤مايو ١٩٨٢م. أرنسون، جيفري أرنسون. سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية، ترجمة حسني زينة، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠م، ط١، ص٣١.

(٦١) شامير، اسحاق شامير، مذكرات اسحاق شامير، ترجمة دار الجليل، دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، عمان ١٩٩٤م، ط١، ص٢١٧.

(٦٢) سعد الدين، الحركات الدينية والسياسية، ص١٤١.

(٦٣) الصوري، تاريخ، ج١، ص١٦٩. كوهن، الحركات، ص٣٠،٧٨.

(٦٤) رواية جيوبرت النوجنتي عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية، ص٨٢.

(٦٥) رواية روبير الراهب عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم، الحملة الصليبية، ص٧٧.

(٦٦) سميث، الحملة، ص٢٠٢. كوهن، الحركات، ص٧٩،٨٩،٩٠.

(٦٧) أديمار أوف مونتيل: ينتمي لعائلة فيلا نتينوا، أصبح أسقف لأبوي بمساعدة البابا جورجوري السابع، وكانت الأبرشية تابعة للبابا مباشرة، وعليه فقد كانت مركزاً للنفوذ البابوي والإصلاح الكلوني في تلك النواحي، وقد حضر البابا أوربان الثاني إلى لأبوي في ١٥أب ١٠٩٥م ومن هناك أصدر استدعاءات لمجمع كليرمونت ومن المحتمل أنه استشار أديمار غي لأبوي بشأن خطته للمجلس والحملة الصليبية، ومن الممكن أنه قرر آنذاك اختيار أديمار مندوباً عنه للحملة ويرجح أن أحد أسباب اختيار أوربان لأديمار كان ماضي هذا الخير الحافل بالمقدرة والإخلاص للبابوية. الشارتري، تاريخ الحملة، ص٨٨، هامش(١٤).

(٦٨) ماستناك، السلام، ص٥٩.

(٦٩) الشارتري، تاريخ الحملة، ص٣١-٣٦،٤١. توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٠٢. الصوري، تاريخ، ج١، ص١٦٨،١٧٦. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة(ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٣٤-١٣٦. ابن الأثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم(٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٩، ط٣، ص١٣،١٩.

(٧٠) المسيري، عبد الوهاب أليسري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ج، ط١، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٩م، ج٢، ص١، ص١٢٤.

(٧١) ريموندأجيل. تاريخ الفرنجة غزاه بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ط١، ص٢٥٩. سميث، الحملة، ص٢٠٣.

(٧٢) عوض، محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية والحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية في القرنين" ٦-٧-هـ/١٢-١٣م"، ط١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٤م، ط١، ص٢٨-٣٠.

(٧٣) بوسعنا أن نورد عشرات التعبيرات الواردة في المصادر التاريخية والحوليات المعاصرة تصف الصليبيين بأنهم "فرسان المسيح"..."وشعب الرب"..."ووكلاء الله"..."وأبناء الله"..."وجنود المسيح". الشارتري، تاريخ الحملة، ص٣٢،٣٦. مجهول، أعمال الفرنجة، ص٩٩. ريموندأجيل، تاريخ الفرنجة، ص٧٠،١٠٦،٢٣٩.

(٧٤) مجهول، أعمال الفرنجة، ص١١٨-١٢٠. الشارتري، تاريخ الحملة، ص١١٥،٧٥. ريموندأجيل، تاريخ الفرنجة، ص٢٤٧. الصوري، تاريخ، ج١، ص٤٦٩،٤٣٥،٤٣٦. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٩..

(٧٥) السلمي، علي بن طاهر السلمي، الجهاد وقع في زكار، أربعة كتب في الجهاد من عصر الحروب الصليبية، ترجمة وتحقيق سهيل زكار، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦م، ط١، ص٤٥.

(٧٦) ماستناك، السلام، ص ١٧٦.

(٧٧) زابوروف، الصليبيون، ص ١٧٢،١٧٣.

(٧٨) ماستناك، السلام، ص١٧٢،١٧٣.

(٧٩) ابن جبير، محمد بن أحمد الكتاني(ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م): الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار، علق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٣م، ط١، ص٢٣٨.

(٨٠) عوض، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية—السياسية— المياه- العقيدة، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠١م، ط١، ص٤٢.

(٨١) الأغيار: هي المقابل العربي للكلمة العبرية "جوييم" وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية "جوي" التي تعني شعب أو قوم، وقد كانت الكلمة تطلق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية، ومن هنا كان المصطلح العربي الأغيار. الميسري، عبد الوهاب أليسري، الصهيونية والعنف، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م، ط١، ص٢٩.

(٨٢) Menuhen Moshe. The Decadence of Judaism in our time. Beirut Institute for Palestine studies، ١٩٦٩ p.، ٣٣١.

(٨٣) روبنشتاين، غوش أومنيم، ص١٥.

(٨٤) موشي شاريت: ولد في أوكرانيا عام ١٨٩٤م. وهاجر الى فلسطين سنة ١٩٠٦م. درس المحاماة ، في استانبول، وساهم في إقامة الهاغاناه، واعتب الرجل الثاني بعد بن غوريون في مجلس الشعب عام ١٩٤٩م. ثم عضو في مجلس الدولة، دخل الكنيست من الأولى حتى الخامسة، وتولى عدة حقائب وزارية ثم رئاسة الحكومة في عام ١٩٥٣م. توفى عام ١٩٦٥م. منصور، معجم، ص٢٧٧.

(٨٥) نقلاً عن بشارة، عزمي إبشارة، من يهودية الدولة حتى شارون، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية (مواطن)، رام الله، سنة ٢٠٠٥م.، ط١، ص٢٣.

(٨٦) Buber، Martin، Israel and palestine: The History of an Idea، Translated by Stanley God Man، East and West Library، Library ١٩٥٢، P. ١٨،٤٧،٤٨.

(٨٧) Buber، Israel and palestine: The History of an Idea، op. cit.، p١٨.

(٨٨) سعد الدين، الحركات الدينية والسياسية، ص١٣٦.

(٨٩) المسيري، الأيديولوجية، ص١١٨-١٢٠.

(٩٠) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٩١) المصدر نفسه، ص١١٨-١٢٤،١٢٠.

(٩٢) بلقزيز، عبد الإله بلقزيز. الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، عام٢٠٠١م، ط١، ص٢١.

(٩٣) بن سكبيت، "ألسنة اللهب تزداد اشتعالاً الكارثة أو الانفصال"، جريدة الأيام الفلسطينية، بتاريخ١٠/١٠/٢٠١٥م.، السنة ٢٠، (ع٧٠٢١)، ص١٣.

(٩٤) إسحاق رابين، ولد في القدس بتاريخ ١مارس، ١٩٢٢م سياسي إسرائيلي وجنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي حيث كان يشغل منصب رئيس الاركان اثناء حرب عام ١٩٦٧م بعد تقاعده عمل في السلك الدبلوماسي فعمل سفيراً لإسرائيل في الويات المتحدة، ثم عمل وزيرا للعمل في حكومة جولدا مائير عقب حصل على مقعد في الكنيست الاسرائيلي على إثر انخراطه في صفوف حزب العمل، تقلد منصب رئيس وزراء اسرائيل في فترتين؛

الأولى من عام ١٩٧٤م-١٩٧٧م والثانية من عام ١٩٩٢م إلى نوفمبر ١٩٩٥م. يُعد من أبرز الشخصيات اليهودية وأحد أهم متخذي القرارات في الشؤون الخارجية، العسكرية والأمنية في إسرائيل اغتيل في٤ نوفمبر ١٩٩٥م. في مدينة تل أبيب. منصور، معجم، ص٢٤١.

(٩٥) إسحاق رابين، مذكرات إسحاق رابين، ترجمة دار الجليل، دار الجليل للدراسات والابحاث الفلسطينية، عمان، سنة ١٩٩٣م، ط١، ص٢١٣.

(٩٦) موشية ديان: هو أحد أبرز قيادات حزب العمل، عمل رئيساً لأركان الجيش الصهيوني أبان حرب السويس ١٩٥٦م. ثم عين وزيراً للدفاع في حكومة الوحدة الوطنية في الفترة فيما بين ١٩٦٧-١٩٧٤م. وفيما بين أعوام ١٩٧٧-١٩٧٩م. عمل وزيراً للخارجية في حكومة بيجين الليكودية. أرونسون، سياسة، ص٧٣،٨١. منصور، معجم، ص٢٣٦.

(٩٧) أسعد، رزوق أسعد. إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني،ط١، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨م.، ط١، ص٦٠٤.أجريت هذه المقابلة في أغسطس سنة١٩٦٧م.

(٩٨) ميرون بنفيستي: عمل نائباً لرئيس بلدية القدس في الفترة ما بين ١٩٧٤-١٩٧٩م.وهو يعتبر من أشهر المؤلفين الإسرائيليين في الدراسات الصليبية، ومن كتبهThe Crusaders in The Holy Land Jerusalem. والعديد من الأبحاث المشتركة مع براور. ميرون بنفيستي، بنفيستي، الضفة الغربية، الضفة الغربية وقطاع غزة، بيانات وحقائق، ترجمة ياسين جابر، دار الشروق، عمان، ١٩٧٨، ط١، مقدمة المترجم.

(٩٩) بنفيستي، الضفة الغربية، ص٦٧.

(١٠٠) بن غوريون: ولد في مدينة بلونسك ببولندا هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦م.شغل منصب سكرتير عام الهستدروت في الفترة ما بين ١٩٢١-١٩٣٣م. وفي سنة ١٩٣٥م. انتخب رئيساً لإدارة الوكالة اليهودية وبقى في منصبه هذا حتى تم انتخابه رئيساً لوزراء إسرائيل، ويعتبر هو منظر حزب مباى- حزب العمل حالياً- اعتزل النشاط السياسي عام ١٩٧١م. وتوفى في أواخر عام ١٩٧٣م. وله من العمر سبع وثمانون سنة. منصور، معجم، ص١٠٧.

(١٠١) جبارة، تيسير جبارة. "فرض الهجرة القسرية على الشعب الفلسطيني زمن الانتداب البريطاني"، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، مؤسسة الأسوار، عكا، ١٩٩٨م. مج١، ع١، ص١٧٥.

(١٠٢) كتاب أبحاث المؤتمر العلمي "التاريخ الشفوي الواقع والطموح" الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٦م، ج١، ط١، ص ج.

(١٠٣) بني موريس، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين، ترجمة دار الجليل، ط١، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان ١٩٩٣م، ط١، ملحق رقم(١) ص٢٧٣- ٢٧٥.

(١٠٤) لمزيد عن خطط الترحيل في الفكر الصهيوني ينظر، مصالحة، نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، عام ١٩٩٢م، ط١، ص٢٦٦- ٢٧٤.

(١٠٥) المسيري، الصهيونية، ص٤١.

(١٠٦) شامير، مذكرات إسحاق شامير، ص٣١.

(١٠٧) وقائع المؤتمر العلمي للتاريخ الشفوي "الواقع والطموح" ٢ج، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٦م، ج١، ص ج.

(١٠٨) عن هذه المنظمات ينظر، المسيري، الصهيونية، ص٢٦٦- ٢٧٤.

(١٠٩) المسيري، الصهيونية، ص٢٥٢.

(١١٠) دير ياسين: تقع غرب مدينة القدس، نشأة فوق بقعة جبلية ترتفع نحو ٧٧٠م عن سطح البحر، وقد تعرضت القرية عام١٩٤٨م. لعدوان اليهود الذين ارتكبوا فيها مذبحة وحشية، ودمروها وأقاموا على أنقاضها مستوطنة جفعات شاؤول. الدباغ، مراد مصطفي الدباغ. موسوعة بلادنا فلسطين، دار الهدي، كفر قرع،

٢٠٠٠م. ق٢، ج٨، ط١، ص١٣١.

(١١١) المسيري، الصهيونية، ص٢٥٣،٢٥٤.

(١١٢) بيجين، التمرد، ص٢٠٣.

(١١٣) عن خطة دالت ينظر، بني موريس، طرد الفلسطينيين. بايه، إيلان بايه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله، ٢٠١٢م، ط٥، ص٢-٢٠. جبارة، فرض، ص١٧٤- ١٩٣.

(١١٤) التميمي، الاستيطان، ص٩٥.

(١١٥) عن العمليات العسكرية التي قام بنها يوشع بن نون والاسرائيليين في أرض كنعان/فلسطين ينظر، سخنيني، الجريمة المقدسة، ص٣٧-٥٠.

(١١٦) بيتربيرغ، المفاهيم الصهيونية، ص٢٢٩،٢٣٠.

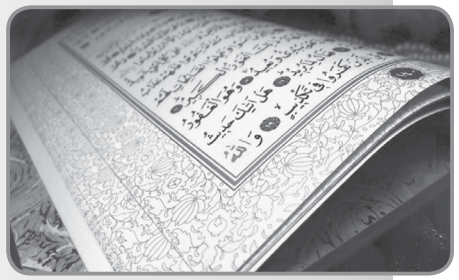

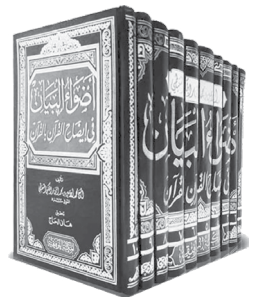

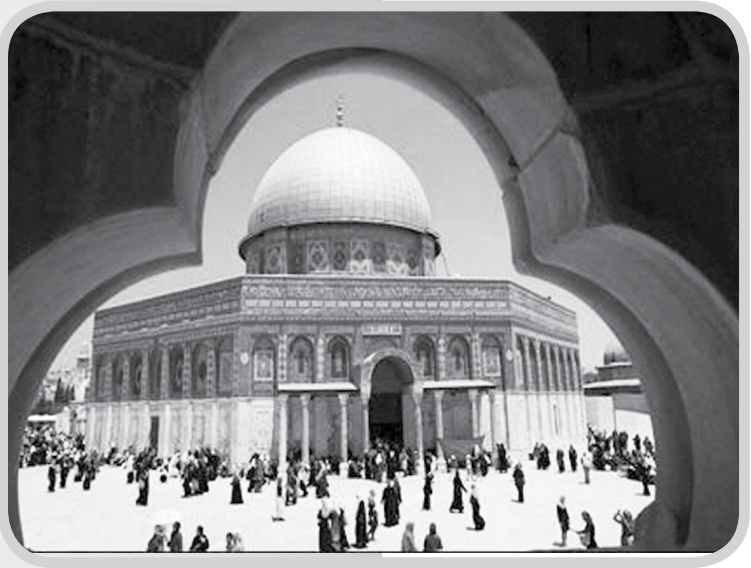

الشيخ أحمد مثقال

فلسطين في أقوال المفسرين

الحمد

لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

إن فلسطين إسلامية وهي ملك للمسلمين، وقد بارك الله فيها وفيما حولها؛ وفيها المسجد الأقصى وهو أول قبلة للمسلمين وثاني مسجد في الأرض.

ومن المسلّمات المؤكّدة عظمة قضية فلسطين من النواحي كلها، ولو شكّك المشكّكون في صفاء القضية ونقائها وسلبوها لباس العز والمجد والتكريم من خلال زعمهم أن القرآن الكريم وعلماء التفسير لم يعتنوا الاعتناء اللازم بقضية فلسطين. ولا شك في أن بطلان هذا الزعم يغني عن إبطاله لأنه لا أحد ينكر نور الشمس في رابعة النهار.

ومع كل ذلك سوف أتكلم في هذا المقال بعون الملك المتعال مدللا أن المفسرين قد أسهبوا في إظهار قضية فلسطين من حيث استقراء آيات القرآن في مجملها، ولعلّ من نافلة القول أن أقول أن الله تعالى ذكر أرض فلسطين في أكثر من خمس وثلاثين آية في القرآن تناولها المفسرون من النواحي كلها، ومن هذه الآيات:

فلسطين إسلامية وهي ملك للمسلمين، وقد بارك الله فيها وفيما حولها؛ وفيها المسجد الأقصى وهو أول قبلة للمسلمين وثاني مسجد في الأرض ، وقد أسهب المفسرون في إظهار فضائلها

• أوّلاً: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٥٨) .

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله فيها: « والقرية التي أمرهم الله أن يدخلوها هي بيت المقدس» [١].

ثم ذكر روايات متعدد عن قتادة رضي الله عنه والسدي رضي الله عنه ومجاهد رضي الله عنه وغيرهم أنها بيت المقدس [٢].

وقال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره «معالم التنزيل» : « عن ابن عباس رضي الله عنه: هي أريحا، وعن مجاهد رضي الله عنه: بيت المقدس؛ وقال الضحاك رضي الله عنه: الرملة وفلسطين" [٣].

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»: « وفي المراد بهذه

القرية قولان، أحدهما: بيت المقدس، قاله ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه وقتادة رضي الله عنه والسدي رضي الله عنه [٤].

• ثانياً: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُود قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُو وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٤٩).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: «إن طالوت فصل بالجنود يومئذ من بيت المقدس، وهم ثمانون ألف مقاتل ...». قال ابن عباس رضي الله عنه: " هو نهر فلسطين "، وكذا قال السدي رضي الله عنه : " نهر فلسطين هو المسمى نهر الأردن نفسه " [٥].

وقال الإمام ابن عطية الأندلسي رحمه الله: « قال ابن عباس رضي الله عنه والسدي رضي الله عنه هو نهر فلسطين " [٦].

وقال الإمام الرازي رحمه الله: « وفي النهر أقوال، أحدها: نهر بين الأردن وفلسطين، والثاني: نهر فلسطين، والتوفيق بين القولين أن النهر الممتد من بلد قد يضاف إلى أحد البلدين» [٧].

• ثالثاً: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ • فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة آل عمران، من الآية ٣٥ إلى ٣٧).

قال الإمام النسفي رحمه الله في مدارك التنزيل في قوله: ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً ﴾ هو حال من ما وهي بمعنى الذي أي معتقاً لخدمة بيت المقدس. ثم تحدث عن المحراب فقال: هو أشرف المجالس كأنها وضعت

لما تحقق الحمل لمريم ابنة عمران عليها السلام نذرت أن يكون محررا، أي خالصا مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس وذلك بعد أن مات زوجها وتركها حبلى

في أشرف موضع من بيت المقدس[٨].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «فلما تحقق الحمل نذرت أن يكون محرراً، أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس»، ثم أردف في قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى [٩].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في الكنز الثمين: « قولها ﴿نَذَرْتُ﴾ بمعنى التزمت أن يكون ما في بطني محرراً من خدمتي ليكون خادماً للمسجد الأقصى"، ثم أردف: "ولكن ليس الذكر في خدمته لبيت المقدس كالأنثى" [١٠].

وقال الإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: « وامرأة عمران هي حنة بنت ناقوذا، مات زوجها وتركها حبلى فنذرت حبلها ذلك محرراً لخدمة بيت المقدس» [١١].

وكرر رحمه الله في هذه الآيات لفظة (بيت المقدس) كثيراً.

• رابعاً: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٢١) .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله عن قتادة قال: « هي الشام ، وعن مجاهد: الطور وما حوله، أو فلسطين كما قال ابن عباس» [١٢].

وقال الحافظ ابن كثير: « وجاء عن ابن عباس أنها أريحا وكذا عن غير واحد من المفسرين، وفي هذا نظر لأن أريحا ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس إلا أن يكون المراد أريحا بيت المقدس كما قال السّدي» [١٣].

قال الإمام الزمخشري غفر الله له: « الأرض المقدسة يعني بيت المقدس، وقيل: الطور وما حوله، وقيل: الشام وقيل: فلسطين ... وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين» [١٤].

وقال أبو زهرة رحمه الله في «زهرة التفاسير»: وقد قيلت أقوال كثيرة في الأرض المقدسة، وأصح الأقوال وأولاها ما قاله ابن جرير أن يقال: الأرض المقدسة ولا تخرج من أن تكون الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر أي أنها تشمل سيناء والشامات كلها بما فيها فلسطين

الأرض المقدسة ولا تخرج من أن تكون الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر أي أنها تشمل سيناء والشامات كلها بما فيها فلسطين والأردن ولبنان، وقد خصصها الأكثرون بأرض ايلياء بيت المقدس وما حوله

والأردن ولبنان، وقد خصصها الأكثرون بأرض ايلياء بيت المقدس وما حوله» [١٥].

• خامساً: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة يونس، الآية ٩٣).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: « أي منزل صدق محمود مختار، مصر، وقيل: فلسطين والأردن» [١٦].

وقال الإمام الرازي: « والمراد بقوله ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ الشام ومصر، وتلك البلاد فاتها بلاد كثيرة الخصب، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء، الآية ١)؛ هذا إذا كان المراد بمن كانوا على زمن موسى عليه السلام.

وإذا كان المراد زمن محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بمنزل الصدق ما بين المدينة والشام، فالشام في الأمرين وكلا القولين" [١٧].

وقال الإمام أبو حيان الأندلسي: « لما ذكر تعالى ما جرى لفرعون وأتباعه من الهلاك ذكر ما أحسن به لنبي اسرائيل وما امتنّ به عليهم، إذ كان بنو اسرائيل قد أخرجوا من مساكنهم خائفين من فرعون فذكرهم أنه اختار لهم من الأماكن أحسنها»، عن ابن عباس قال: « ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ هو فلسطين والأردن، وقال مقاتل: بيت المقدس، والضحاك: مصر، وقال ابن عطية: والأصح أنه الشام وبيت المقدس بحسب ما حُفظ من أنهم لم يعودوا إلى مصر» [١٨].

• سادساً: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة يوسف، الآية ١٠٠).

قال أبو جعفر الطبري: « وذلك أن مسكن يعقوب وولده فيما ذكر كان ببادية فلسطين، وعن ابن اسحاق: كان نُزُل يعقوب وولده فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالعَرَبات [١٩] من أرض فلسطين» [٢٠].

المسجد الأقصى هو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن ابراهيم عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل ذلك على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وقال ابن عطية: « (الْبَدْو) يعم جمع الشمل والتنقل من الشقاوة إلى النعمة بسكنى الحاضرة، وكان منزل يعقوب بأطراف الشام في بادية فلسطين، وكان رب إبل وغنم وبادية» [٢١].

وقال الإمام برهان الدين البقاعي في «نظم الدرر» : « وكانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمنافع، لذلك قال: ﴿ من البدوِ ﴾ من أطراف بادية فلسطين، وذلك من أكبر النعم" [٢٢].

وقال الإمام السيوطي في « الدر المنثور» : « وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طلحة في قوله: ﴿وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ قال: كان يعقوب وبنوه بأرض كنعان [٢٣] أهل مواشٍ وبادية» [٢٤].

• سابعاً: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء، الآية ١).

قال الطبري: « والأقصى يعني مسجد بيت المقدس، وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار» [٢٥].

خرج ابراهيم مهاجراً إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجراً حتى نزل حرّان ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام

وقال ابن عطية: المسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس وسماه الأقصى أي في ذلك الوقت كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة، والبركة حوله من جهتين، احداها: النبوة والشرائع والرسل، والأخرى النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خصّ الله الشام بها» [٢٦].

قال ابن كثير: « والمسجد الأقصى هو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن ابراهيم عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمّهم في محلتهم ودارهم فدل ذلك على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين" [٢٧].

وقال الإمام السعدي: « ينزه الله نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جملتها ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الذي هو أجل المساجد على الإطلاق، ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾الذي هومن المساجد الفاضلة وهو محل الأنبياء. وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء أنه إلى بيت المقدس ..." [٢٨].

• ثامناً: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً • فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً • قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً • قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً • قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً • قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً • فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾ (سورة مريم، من الآية ١٦ إلى ٢٢).

قال أبو حيان: « وصف بشرق لأنه كان مما يلي بيت المقدس أومن دارها .. وسبب كونه في الشرق أنهم كانوا يعظمون جهة الشرق» [٢٩]، ثم قال: « والمشهور المستفيض أن ميلاد عيسى عليه السلام كان في بيت لحم وأنها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت إلى بيت المقدس" [٣٠].

وقال البيضاوي: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ في القرآن، ﴿مَرْيَمَ﴾ أي قصتها، ﴿إِذِ انتَبَذَتْ﴾ اتخذت، ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ شرقي بيت المقدس» [٣١].

وقال الإمام النسفي: « ﴿شَرْقِيّاً﴾ أي تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس» [٣٢].

وقال الأستاذ المراغي: « ﴿إِذِ انتَبَذَتْ﴾ أي اعتزلت وتنحّت، ﴿مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ أي شرقي بيت المقدس» [٣٣].

• تاسعاً: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٧١).

الأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام، وعلم من أن تجري إلى الأرض التي بارك الله فيها أنها تخرج من تلك الأرض حاملة الجنود أو مصدّرة البضائع والميرة ومواد الصناعة وأسلحة الجند إلى أرض فلسطين

قال أبو جعفر الطبري: « عن قتادة كان بأرض العراق فأنجيناه إلى أرض الشام، وكان يقال للشام (عماد دار الهجرة) وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وهي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك مسيح الضلالة الكذاب الدجال» [٣٤].

وعن ابن اسحق قال: «خرج ابراهيم مهاجراً إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجراً حتى نزل حرّان[٣٥] ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام» [٣٦].

وقال الإمام البغوي: « ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً﴾ من نمرود وقومه من أرض العراق إلى الشام التي بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ومنها بعث الأنبياء" ثم أردف رحمه الله: " فخرج يلتمس الفرار بدينه حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها مهاجراً إلى مصر ثم إلى الشام، فنزل بئر السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام» [٣٧].

وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان» : « والأرض التي خرج منها هي كوثى [٣٨] من أرض العراق، والأرض التي خرجا إليها هي أرض الشام» ثم قال: «والأرض المذكورة هي الشام على قول الجمهور في هذه الآية بيّنه في غير موضع كقوله : ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وقوله: ﴿ سبحان الذي ... ﴾ » [٣٩].

وقال الدكتور وهبة الزحيلي في «التفسير المنير» : « أي من العراق إلى أرض فلسطين في الشام التي بارك الله فيها بكثرة الأنهار والأشجار أو لأن أكثر الأنبياء بُعثوا بها فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبدئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية، ورُوى أن ابراهيم نزل بفلسطين» [٤٠]، وقد كرر - حفظه الله - ذكر «فلسطين» في الآية كثيراً ...

• عاشراً: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٨١).

قال القرطبي: « وتجري إلى الأرض التي باركنا فيها أي الشام، وكانت تجري به وبأرضه إلى حيث أراد ثم ترده إلى الشام » [٤١].

وقال أبو حيان: « والأرض أرض الشام، كانت مسكنة ومقر ملكه، أو أرض فلسطين أو بيت المقدس» [٤٢].

وقال الطاهر بن عاشور: « والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام، وعلم من أن تجري إلى الأرض التي بارك الله فيها أنها تخرج من تلك الأرض حاملة الجنود أو مصدّرة البضائع والميرة ومواد الصناعة وأسلحة الجند إلى أرض فلسطين» [٤٣].

• الحادي عشر: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١٠٥).

قال الإمام البغوي: ﴿والأرض هي أرض الجنة، وقال بعضهم: أراد

أرض فلسطين في الشام بارك الله فيها بكثرة الأنهار والأشجار أو لأن أكثر الأنبياء بُعثوا بها فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبدئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية

بالأرض الأرض المقدسة» [٤٤].

وقال القرطبي: « قال ابن عباس: هي الأرض المقدسة، والمراد بذلك بنو إسرائيل بدليل قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٣٧) [٤٥].

وقال ابن الجوزي: « فأما قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا﴾ قولان، أحدهما: أنها أرض الشام وهذا قول الأكثرين، وبركتها أن الله بعث أكثر الأنبياء فيها، وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار ... » [٤٦].

وقال البيضاوي: « والأرض هي أرض الجنة أو الأرض المقدسة يرثها عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم » [٤٧].

• الثاني عشر: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٢٠).

قال الطبري: « ﴿وَشَجَرَةً﴾ يعني الزيتون، و﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يقول: تخرج من جبل بين الأشجار، ثم قال: وهو جبل بالشام مبارك» [٤٨].

وقال القرطبي: « ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ الجبل الذي بارك الله فيه، وطور سيناء من أرض الشام، وقال ابن زيد: هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر إلى أيلة[٤٩]» [٥٠].

(طُور سَيْنَاء) الجبل الذي بارك الله فيه، وطور سيناء من أرض الشام، وقال ابن زيد: هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر إلى أيلة

وقال الزمخشري: « طور سيناء لا يخلو، إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء أو سينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً وهو جبل بفلسطين وقيل بين مصر وأيلة» [٥١].

قال الإمام جمال الدين القاسمي: « طور سيناء هو جبل بفلسطين أوبين مصر وأيلة» [٥٢].

• الثالث عشر: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة النور، الآية ٣٦).

قال البغوي: روى صالح بن حيان عن ابن بريدة قال: « إنما هي في أربعة

مساجد لم يبنها إلا نبي، الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٥٣).

وقال القرطبي: « واختلف الناس في البيوت هنا على خمسة أقوال: وذكر منها الثاني: هي بيوت بيت المقدس عن الحسن البصري، ثم ذكر أثر بريدة» (٥٤).

وقال الخطيب الشربيني: « ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ وهي المساجد، والمراد بها المساجد الثلاثة، وقيل: الأربعة، الكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة وقباء» (٥٥).

• الرابع عشر: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾ (سورة سبأ، الآية ١٨).

قال القرطبي: « ﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ عن مجاهد قال: الشام، وقيل: بيت المقدس، وعن ابن عباس قال: الأرض المقدسة» (٥٦).

قال ابن كثير: « قال وهب: قرى صنعاء، وقال مجاهد والحسن وزيد وغيرهم: قرى الشام، وقال ابن عباس: هي قرى بيت المقدس» (٥٧).

وقال صاحب التفسير التربوي: « إن العمران كان ما يزال متّصلاً بينهم وبين القرى المباركة من مكة في الجزيرة وبيت المقدس في الشام، فقد كانت اليمن ما تزال عامرة في شمال بلاد سبأ ومتصلة بالقرى المباركة، والطريق بينهما عامر مطروق مسلوك مأمون» (٥٨).

فلا مانع من حمل الآية على جميع المذكور لاتصال البركة بين جميع ما ذُكر.

البُيُوت التي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ إنما هي أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي، الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسجد قباء

• الخامس عشر: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (سورة الصافات، الآية ٩٩).

قال الطبري: « فقال لما نجاه الله: إني مهاجر من بلد قومي إلى الله، أي إلى الأرض المقدسة» (٥٩).

وكذا قال البغوي: « إلى حيث أمرني بالمسير إليه، وهو الشام. قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد» (٦٠).

وقال ابن عاشور: «لما نجا ابراهيم من نارهم صمّم على الخروج من بلده، وهذه أول هجرة في سبيل الله للبعد عن عبادة غير الله، والتوراة بعد أن طوت سبب أمر الله إياه بالخروج ذكر منها أنه خرج قاصداً بلاد حرّان في أرض كنعان وهي بلاد الفينيقيين» (٦١).

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية كلاماً طويلاً حول هجرة ابراهيم وما حصل ثم قال: وبعد ذلك عاد ابراهيم مهاجراً إلى أرض فلسطين ثم مرض ومات عن مائة وخمس وسبعين سنة، ودفن في المغارة المذكورة بجبرون الحيثي وهو المعروف اليوم بالخليل، وهذا تُلقِّيَ بالتوراة أمة بعد أمة من زمن بني اسرائيل إلى يومنا هذا» (٦٢).

• السادس عشر: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (سورة الحشر، الآية ٢).

قال الإمام الطبري: «يعني تعالى ذكره هو الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب وهم اليهود بني النضير من ديارهم حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من ديارهم فمنهم من خرج إلى الشام ومنهم إلى خيبر" .

وقال القرطبي رحمه الله: « ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ الحشر الجمع وهو على أربعة أوجه، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا فكان أول حشر إلى الشام، قال ابن عباس وعكرمة: من شك أن المحشر في الشام فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحشر﴾ » .

وقال ابن كثير: « يعني يهود بني النضير، قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد، فكان طائفة منهم ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة إلى خيبر» .

وقال الشيخ سعيد حوى رحمه الله عن النسفي: « ومعنى الحشران هذا أول حشرهم إلى بلاد الشام، وهذا أول حشرهم، وآخر حشرهم إجلاء

قال القرطبي رحمه الله: (لأَوّل الحَشْر) الحَشْر الجمْع وهو على أربعة أوجه، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا فكان أول حشر إلى الشام

عمر إياهم من خيبر إلى بلاد الشام» قال رحمه الله: «أقول: هذا كلام من لم يدرك حشرهم الجديد في فلسطين وبلاد الشام».

وبعد هذا الاستقراء لبعض آيات القرآن الحكيم يجد القارئ الكريم عناية علماء التفسير بقضية فلسطين في رد واضح على طوائف من النصارى أو غيرهم ممن شكك في عناية القرآن بقضية فلسطين وأرضها المباركة. وقد بان لكل ذي عين دحض تلك الشبهة الواهية والتي هي أوهن من بيت العنكبوت حيث أن ذكر أرض فلسطين ورد في القرآن حوالي خمس وثلاثين مرة في سياقات متنوعة وطرائق مختلفة.

وهذه بعض الآيات، وقد آثرت الاختصار خوف الإطالة؛ والله أسأل بمنّه وكرمه القبول والحشر مع سيدنا الرسول، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

١-جامع البيان في تأوين آي القرآن للطبري ٣٩٣/١ – دار ابن حزم – بيروت / دار الإسلام في الأردن – عمان، ط١ لعام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢-المصدر السابق نفسه ٣٩٤/١.

٣-معالم التنزيل للبغوي ٧٦/١ – تحقيق: خالد الكك ومروان سوار – دار المعرفة / بيروت، ط٢ لعام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤-زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨٤/١ – المكتب الإسلامي – بيروت / دمشق، ط٣ لعام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥-جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٨٢٠/٢ (مرجع سابق).

٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٣٣٤/١ – تحقيق: عبد السلام محمد – دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣ لعام ٢٠١١م.

٧-التفسير الكبير للرازي ١٥٢/٦-١٥٣ - دار الكتب العلمية / بيروت، ط٣ لعام ٢٠٠٩م.

٨-مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٢٥٢/١ – تحقيق: يوسف بديوي ومحيي الدين مستو – دار ابن كثير / بيروت، ط٥ لعام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٩-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٩/٣ – بيروت، دار المعرفة – سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م بلا رقم ولا طبعة.

١٠-الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين لابن عثيمين ٤٧٢/٢، اعتناء: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، كتاب ناشرون / بيروت – لبنان، ط١ لعام ٢٠١٠م.

١١-التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٣٢/٣ – دار سحنون – تونس، بلا طبعة ولا سنة.

١٢-جامع البيان للطبري ٢٨٠٢/٤ (مرجع سابق).

١٣-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩/٢ (مرجع سابق).

١٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٤٧٧/١ – دار الكتاب العربي

– بيروت / لبنان، ط١ لعام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٦م.

١٥-زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة ٢١١١/٤ – دار الفكر العربي، القاهرة / مصر، بلا طبعة لعام ١٩٨٧م.

١٦-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/٨ – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ط٥ لعام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٧-التفسير الكبير للرازي ١٢٧/١٧ (مرجع سابق).

١٨-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٨٩/٥-١٩٠ – تحقيق: عادل بن عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١ لعام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٩-جامع البيان للطبري ٤٦٤٧/٦ (مرجع سابق).

٢٠-المحرر الوجيز لابن عطية ٢٨٢/٣ (مرجع سابق).

٢١-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ٩٩/٤ – تخريج وضبط: عبد الرزاق المهدي – دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان ط لعام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٢-الدر المنثور للسيوطي ٥٨٩/٤ – دار الفكر – بيروت / بدون ذكر الطبعة – لعام ١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ.

٢٣-جامع البيان للطبري ٥٠٨١/٦ (مرجع سابق).

٢٤-المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٦/٣ (مرجع سابق).

٢٥-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣ (مرجع سابق).

٢٦-تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٢٦ – تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مجلة البيان / الرياض، لعام ١٤١٩هـ - بدون ذكر الطبعة.

٢٧-البحر المحيط لأبي حيان ١٦٩/٦ (مرجع سابق).

٢٨-البحر المحيط لأبي حيان ١٧٢/٦ (مرجع سابق).

٢٩-أنوار التنزيل وأرار التأويل للبيضاوي ٢٨/٢ – دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ لعام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٠-مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٣٢٩/٢ – تحقيق: يوسف بديوي ومحيي الدين مستو – دار ابن كثير – دمشق، ط٥ لعام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣١-تفسير المراغي لأحمد المراغي ٣٥/٦ – خرج أحاديثه: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان، ط٢ لعام ٢٠٠٦م.

٣٢-جامع البيان للطبري ٥٧١٦/٧ (مرجع سابق).

٣٣-جامع البيان للطبري ٥٧١٧/٧ (مرجع سابق).

٣٤-معالم التنزيل للبغوي ٢١٢/٣ (مرجع سابق).

٣٥-أضواء البيان للشنقيطي ١١١/٣ – اعتناء: الشيخ صلاح الدين الغلاييني – دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان، ط١ لعام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٦-التفسير المنير للزحيلي ٨٧/١٧ – دار الفكر المعاصر – بيروت / لبنان، ط١ لعام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٧-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/١١ (مرجع سابق).

٣٨-البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٩/٦ (مرجع سابق).

٣٩-التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢٣/١٧ (مرجع سابق).

٤٠-معالم التنزيل للبغوي ٢٢٨/٣ (مرجع سابق).

٤١-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣١/١١ (مرجع سابق).

٤٢-زاد المسير لابن الجوزي ٣٦٨/٥ (مرجع سابق).
٤٣-أنوار التنزيل للبيضاوي ٨٠/٢ (مرجع سابق).
٤٤-جامع البيان للطبري ٥٩١٣/٧ (مرجع سابق).
٤٥-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٧/١٢ (مرجع سابق).
٤٦-الكشف للزمخشري ١٣٩/٢ (مرجع سابق).
٤٧-محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: أحمد بن علي وحمدي حج ٣٠٠/٧ – دار الحديث / القاهرة ، بدون طبعة لعام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٨-معالم التنزيل للبغوي ٢٩٥/٣ (مرجع سابق).
٤٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٦/١٢ (مرجع سابق).
٥٠-السراج المنير للخطيب الشربيني ٦٩٣/٢ – دار الكتب العلمية – بيروت ، تعليق: ابراهيم شمس الدين ، ط١ لعام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥١-جامع البيان للطبري ٦٧٤٤/٨ (مرجع سابق).
٥٢-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣٩/٣ (مرجع سابق).
٥٣-التفسير التربوي لأنور الباز ٦٣/٣ – دار النشر / القاهرة – مصر ، لعام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، بلا طبعة.
٥٤-جامع البيان للطبري ٦٩١٠/٨ (مرجع سابق).
٥٥-معالم التنزيل للبغوي ٢٥/٤ (مرجع سابق).
٥٦-التحرير والتنوير لابن عاشور ١٤٦/٢٣ (مرجع سابق).
٥٧-البداية والنهاية لابن كثير ٢١٤/١-٢١٨ بتصرف يسير، دار أبي حيان – القاهرة / مصر ، ط١ لعام ١٩٩٦م.
٥٨-جامع البيان للطبري ٧٩٥٣/١٠ (مرجع سابق).
٥٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٣/٨ (مرجع سابق).
٦٠-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٣/٤ (مرجع سابق).
٦١-الأساس في التفسير لسعيد حوى ٥٨١٩/١٠ – دار السلام / القاهرة ، ط٤ لعام ١٩٩٣م.
٦٢-البداية والنهاية الجزء الأول وفاة إبراهيم وما قيل في عمره.

م / مبتسم الأحمد

عمود الدين واستقرار الإيمان بالشام عند نزول الفتن

تمهيد

مساهمة مني في نشر الثقافة المقدسية ابتداء، والعلم الشرعي المستفاد من كلام خير البرية صلى الله عليه وآله وسلم على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم، ثم فقهاً للواقع الذي نعيش، فإني أحببت أن أتعرض لحديث هام من الأحاديث المقدسية الصحيحة، بحسب ما يتسع به المقام، أسبر أغواره وأستخرج فوائده العلمية المتعلقة ببيت المقدس والأقصى وفلسطين على وجه الخصوص، ثم أعرج على ذكر غيرها من الفوائد والأحكام، ولا أغفل كذلك بربط هذا الشرح مع الواقع وما يحدث على الأرض إن اقتضى الأمر ذلك.

رواية الحديث:

قال حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا يحيى بن حمزة، عن زيد بن واقد، حدثني بسر بن عبيد الله، حدثني أبو إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت إنه مذهوب به، فاتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام". أخرجه أحمد في مسنده (٥/١٩٨).

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

وقال حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي، حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن عفير بن معدان أنه سمع سليم بن عامر يحدث عن أبي أمامة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رأيت عمود الكتاب أنتزع من تحت وسادتي فأتبعه بصري، فإذا هو نور ساطع حتى ظننت أنه قد هوى به، فعمد به إلى الشام، وإني أولت أن

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت إنه مذهوب به، فاتبعته بصرى فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام"

الفتن إذا وقعت أن الإيمان بالشام".

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/١٧٠) وفي الأوسط (٣/١٢٧) من طريق عبدالله بن عمرو.

والحديث أخرجه كذلك الحاكم في المستدرك (٤/٥٠٩) برقم ٨٥٥٤ من طريق عبدالله بن عمرو وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية (٥/٢٥٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٤٤٨)، وابن عساكر في تاريخه (١/١٠٢-١٠٥).

قال ابن حجر في الفتح (١٢/٤٢٠): اسناده صحيح، وصححه العلامة الألباني في فضائل الشام ودمشق للربعي.

شرح الحديث

مفردات الباب:

العمود: قال شيخ الإسلام: "والعمود ما يعتمد عليه، وهم حملته القائمون به" (مجموع الفتاوى ٢٧/٤٢).

قَالَ ابن رجب في "فضائل الشام" (ص ٤٣): في تأويل قوله صلى الله عليه وسلم: « رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ ...»: الكتاب إنما يقام به بملك يؤيده، ويقاتل به من خرج عنه، كما جمع الله بين الأمرين في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

الشام: قال ياقوت الحموي في بيان حدود الشام: وأما حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيئ (هما جبلا أجأ وسلمى شمال الجزيرة العربية بينهما مسيرة ليلتان، كانت منازل قبيلة طيئ العربية القحطانية بينهما) من نحو القبلة إلى بحر الروم (وهو البحر الأبيض المتوسط بتسميته الحالية، ويقال له بحر الشام كذلك) وما بشأمة ذلك من البلاد.

كان أول دخول المسلمين الشام زمن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة؛ ثم افتتحوا كل بلاد الشام في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(معجم البلدان ٣/ ٣٥٤).

وقال أبو إسحاق الاصطخري: وأما الشام فإن غربيّها بحر الروم، وشرقيّها البادية من أيْلَة (مدينة على رأس خليج العقبة تسمى الآن العقبة، وسميت بذلك نسبة لأيلة بنت مدين، وقيل: هي القرية التي كانت حاضرة البحر) إلى الفرات إلى حد الروم، وشماليّها بلاد الروم، وجنوبيّها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور" (مسالك الممالك ص ٥٥).

وكان أول دخول المسلمين الشام زمن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة؛ ثم افتتحوا كل بلاد الشام في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والشام اليوم من أعمر بلاد العرب، ذات قرى متراصة يكاد بعضها يمس بعضًا، وذات أنهار جارية ومزارع خضرة نضرة، وأهم مدنها: القدس الشريف، وعمان - عاصمة الأردن -، ودمشق - عاصمة سوريا -، وبيروت - عاصمة لبنان -، وعشرات المدن: كالعقبة وأربد ونابلس وحماة وحمص وحلب وطرابلس وصور وصيدا ويافا وحيفا، وغيرها كثير.

راجع: موسوعة ويكيبيديا الحرة: (ar.wikipedia.org)، ومعجم الأماكن بموقع: (sirah.al-islam.com).

عمود الإسلام هو الإيمان ويكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان

الفتنة في اللغة والاصطلاح:

أ. معنى الفتنة في اللغة:

الفتن جمع فتنة، ويراد بها معان كثيرة ومختلفة، وذكر الفيروز أبادي من معانيها اللغوية (الإحراق، الخبرة، الإعجاب بالشيء، الضلال، الإثم، الكفر، الفضيحة، العذاب، إذابة الذهب والفضة، الإضلال، الجنون، المحنة، المال، الأولاد، اختلاف الناس في الآراء) (الفيروز أبادي، القاموس المحيط باب النون فصل الفاء).

وبجميعها وردت الشواهد اللغوية والشرعية، والفيصل بينها عند الاستعمال هو القرائن الحالية أو المقالية.

ب. معنى الفتنة في الاصطلاح:

من أقرب تعريفات الفتنة الاصطلاحية قول الجرجاني: (هو ما

يتبين به حال الإنسان من الخير والشر) (الجرجاني، التعريفات ص ٢١٢)، وهو تعريف جامع مانع كما يقول المناطقة، فالفتنة للإنسان كالمختبر الذي يفحص فيه الأشياء لمعرفة حقائقها وما اعتراها من علل أو أدواء، فالإنسان إذا تعرض للفتن علم فقهه من جهله، وتبين رشده من غيه، فالعالم الرشيد يستضيء بنور الكتاب والسنة ويعرف موضع قدمه عند حلول الفتن وقبله، أما الجاهل الغوي فلا يبصر طريقاً ولا يهتدي سبيلاً فتتقاذفه أمواج الفتن ذات اليمين وذات الشمال.

راوة الحديث:

ومدار الحديث على عدد من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة وعبدالله بن عمرو بن العاص وكذلك من طريق أبيه وعبدالله بن حوالة رضوان الله عليهم، وكلهم شاميون دخلوها.

الشرح الإجمالي:

قال الشيخ العز بن عبدالسلام رحمه الله: "إن عمود الإسلام هو الإيمان ويكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك" (إسعاد الأخصا ١/ ٢٨).

لا يوجد مسلم لديه ذرة من الشعور الإسلامي، إلا وهو يؤمن بإخراج اليهود من فلسطين، سواء طال الزمن أم قصر، وطرد اليهود من فلسطين - لا يشكل هدفا لأي من الطوائف التي صارت تتمتع بنفوذ قوي في أرض الشام

فوائد ومسائل في الحديث:

هذا الحديث بشارة من النبي عليه - صلى الله عليه وسلم - لأهل الشام فإن الناس حين تموج بهم الفتن يكون أهل الشام في منأى عنها. قال العز بن عبدالسلام رحمه الله معقباً على هذا الحديث: (أخبر النبي أن عمود الإسلام - الذي هو الإيمان - يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين؛ كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان». قلت: وأي مدح أتم من ذلك، وذكر ابن رجب رحمه الله إلى أن المراد بالعمود هنا: الملك، قال: "فإن الكتاب إنما يقام به ملك يؤيده، ويقاتل به من خرج عنه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

وجمع ابن حجر رحمه الله بين ما ذكره العز بن عبدالسلام وابن رجب فقال ناقلاً عن علماء التعبير: "من رأى في منامه عموداً فإنه يعبر بالدين، أو برجل يعتمد عليه فيه، وفسروا العمود بالدين والسلطان. فتحصل من مجموع كلام الأئمة أن العمود يأتي بمعنى :الدين، والملك، أو برجل يعتمد عليه لنصرة الدين" (فتح الباري ٤٠٢/١٢).

ومن تأمل جيداً رأي الأئمة الثلاثة وجد أنها حاصلة لبلاد الشام؛ أما الملك فإن الأحاديث الكثيرة تشير أن دولة الإسلام في آخر الزمان في بلاد الشام، وكما أن أهل الشام يعتمد عليهم في نصرة الدين، فالواقع خير شاهد وخاصة عند فساد الناس.

وعلى ثرى بلاد الشام هزم التتار وسحقت جيوش الصليبيين، وهم اليوم يمثلون خط الدفاع الأول عن الأمة المسلمة في وجه جيوش اليهود والصليبيين، وفي بلاد الشام ينطق الحجر والشجر محارباً اعداء الله، والطائفة المنصورة في بلاد الشام إلى قيام الساعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والنبي ميز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر... فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان ينقص في آخر الزمان منها العلم والإيمان والنصر والجهاد، وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان من يقاتل عليها منصوراً في كل وقت" (مجموع الفتاوى (٢٧٤/٢).

وقال أيضا: "فمكة مبدأ وأيليا معاد الخلق.. فمكة هي الأول ، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية" (مجموع الفتاوى (٥٠٧/٢٧)).

والمتأمل في الأحاديث السابقة التي وردت في كتب السنة، والتي تبين فضل الشام، ومكانتها في الإسلام، وما نالته من العز والخير والبركة والرحمة - قد يصدمه الواقع التي تعيشه الشام، في هذا العصر..

على ثرى بلاد الشام هزم التتار وسحقت جيوش الصليبيين، وهم اليوم يمثلون خط الدفاع الأول عن الأمة المسلمة في وجه جيوش اليهود والصليبيين، وفي بلاد الشام ينطق الحجر والشجر محارباً اعداء الله

حيث أصبحت الأقليات على اختلاف عقائدها ونحلها، هي التي تطفو على السطح في هذه البلاد، وهي اللاعب الأساسي، فيها، كالموارنة والنصيريين والدروز والرافضة، واليهود ..بينما أصبح دور أهل السنة فيها هامشياً لا يكاد يذكر.. فما دلالة ذلك ؟!

وهل يعني هذا أن هذه الفرق هي التي تنطبق عليها الأحاديث النبوية التي أوردنا بعضها أعلاه؟!

الجواب: إن بروز تلك الفرق في بلاد الشام في الوقت الحاضر، وما أصبحت تلعبه من أدوار يفوق أحجامها كثيراً، على حساب دور أهل السنة الذين يمثلون الأغلبية.. إنما هو إملاء لتلك الفرق، تمهيداً لإزالتها من الشام وتطهيرها من هذه الأفكار الضالة المضلة ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال/٣٧) .

وقد يكون وجود اليهود في فلسطين، هو مؤشر هام على ذلك، ولا يوجد مسلم لديه ذرة من الشعور الإسلامي، إلا وهو يؤمن بإخراج اليهود من فلسطين، سواء طال الزمن أم قصر. ومن المعروف أن هذا - أي طرد اليهود من فلسطين - لا يشكل هدفاً لأي من الطوائف التي صارت تتمتع بنفوذ قوي في أرض الشام، كالموارنة والدروز والنصيريين والرافضة.

فوجود هذه الفرق في الشام، هو وجود طارئ ومؤقت، وهي إنما جاء كنتيجة للهيمنة الاستعمارية على بلاد المسلمين، ومقابل الخدمات التي قدمتها هذه الفرق في التآمر على دولة الخلافة العثمانية التي عرفت بتسامحها معهم.

بل جاء نفوذهم كمقدمة لزرع الكيان الصهيوني في فلسطين، لأن الذين خططوا لإنشاء هذه الدولة حرصوا على أن يجعلوها محاطة بفسيفساء من الدول والطوائف ذات الولاء المذهبي على حساب الولاء للأمة، وليس من أولوياتها الجهاد ضد اليهود.

ومثل تلك الفرق التي يعلو صوتها حالياً في بلاد الشام كالموارنة والدروز والرافضة، والنصيريين، والأقلية الحاكمة في المنطقة، هو

الأحاديث الكثيرة تشير أن دولة الإسلام في آخر الزمان في بلاد الشام، وكما أن أهل الشام يعتمد عليهم في نصرة الدين، فالواقع خير شاهد وخاصة عند فساد الناس.

أشبه بالدبابير التي تزن على خراب عشها، وذلك غير بعيد إن شاء الله، لتصفو الشام بعد ذلك للمسلمين الذين يوحدون الله، ولا يشركون به شيئاً والذين على أيديهم سيكون فتح بيت المقدس وتحرير المسجد الأقصى.

ولن يكون ذلك بطبيعة الحال بدون ثمن ولا دماء.

وقد ثبت في الحديث عَن عبد الله بن حَوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّام، وَجُنْدٌ بِالْيَمَن، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاق» قَالَ ابنُ حَوَالَةَ: خِرْ لي يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلكَ!! فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّام، فَإِنَّهَا خِيرَةُ الله مِنْ أَرْضه، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَاده، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ الله تَوَكَّلَ لي بِالشَّام وَأَهْله» (صحيح: انظر حديث رقم: ٣٦٥٩ في صحيح الجامع).

ومن ثمَّ فقد قال ابن حوالة رضي الله عنه : "فخرتُم يا أهلَ الشَّام أنْ قذفَ الله بالفتَن عن أيْمانكم وعن شمائلكُم، والذي نفسُ ابن حَوالةَ بيَده ليَقْذفَنَّكم الله بفتْنَةٍ يُخْرِجُ منها زيَّافكُم".

ومعنى هذا أنَّ الفتن إذا وقع شيءٌ منها بالشَّام كانت سبباً لتمييز الخبيثِ منَ الطيب، بفضل الله تعالى، والله أعلم.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

«عَلَيْكَ بالشَّام، فَإِنَّهَا خِيرَةُ الله مِنْ أَرْضه، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَاده، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ الله تَوَكَّلَ لي بِالشَّام وَأَهْلَه»

لجنة البحث العلمي

فتوى في وجوب منع اليهود من الصلاة عند حائط البُراق

فتوى

في وجوب منع اليهود من الصلاة عند حائط البُراق

للشيخ الفقيه يوسف بن عبدالله بن صوفان القدومي النابلسي

اسمه ونسبه:

هو العلامة الفقيه والأديب، الشيخ يوسف، ابن العلاَّمة الشيخ عبدالله بن صوفان، القدَّومي شهرةً، النابلسي مولداً، الحنبلي مذهباً، الأثري معتقداً.

مولده وطلبه للعلم:

وُلد رحمه الله في مدينة نابلس سنة ١٢٩٠هـ، وتربى في حجر والديه، ولُقِّن دروسه الأولى عند والده العلاَّمة الشيخ عبدالله صوفان، وقرأ عليه جملة من العلوم والفنون. وتلا القرآن مجوَّداً سنة ١٣٠٧هـ.

سمع الشيخ عبدالله صوفان الحديث المسلسل بالأولية، وأتقن المذهب الحنبلي، وقرأ الكتب الكثيرة على شيوخ نابلس آنذاك، حتى نبغ في العلم وبزَّ أقرانه، وأضحى مرجع الحنابلة في الديار النابلسية الحنبلية

ثم انتظم في سلك طلاب مدرسة الجامع الكبير بنابلس، وأخذ فيها الفقه والحديث وعلم التجويد والفرائض وعلوم العربية عن والده السابق ذكره، وعن ابن عم والده: العلاَّمة الفقيه الشيخ موسى القدومي الحنبلي ، وحصل منهما الإجازة العالية في رواية الحديث وكتب الصحاح والسنن.

وسمع الحديث المسلسل بالأولية، وأتقن المذهب الحنبلي، وقرأ الكتب الكثيرة على شيوخ نابلس آنذاك، حتى نبغ في العلم وبزَّ أقرانه، وأضحى مرجع الحنابلة في الديار النابلسية الحنبلية.

له العديد من المؤلفات وعشرات الفتاوى التي وردت عليه من داخل فلسطين وخارجها، وبعضها يتعلق بقضية فلسطين والمسجد الأقصى: ومنها هذه الفتوى التي بين أيدينا وفتوى مشهورة في "تحريم بيع أرض فلسطين لليهود". وله عشرات الرسائل العلمية والأدبية

المتبادلة بينه وبين أعلام عصره. وفاته: توفي رحمه الله عام ١٣٥١هـ، ودفن في مقبرة نابلس.

السؤال :

ما قولكم إذا أراد اليهود أن يجتمعوا ويُظهروا شعائر دينهم من صلاة أو رفع صوت بكتاب مكان البراق الشريف المعدود جزءًا من أجزاء المسجد الأقصى مع مشاهدة المسلمين لهم، أو أرادوا إحداثَ كنيسة ؛ فهل هذا العمل يُعدّ اعتداءً من اليهود على أحكام الشريعة الغرّاء، وإيذاءً للمسلمين؟ وهل يجب منعُهُم من ذلك؟ وما هي نصوص الفقهاء التي صرحت بذلك، مع بيان طبقة كل فقيه صحّ النقل عنه، أفيدونا؟

الجواب : الحمد لله وحده ، اعلم أن هذا باب واسعٌ جدّاً، ومباحثه كثيرة، وأصلها يرجع إلى الشروط التي شرطها عمر رضي الله عنه على أهل الذمة بعد فتح الشام، وسار على منهجها رجاله الفاتحون، وأقرّهم عليها وتناقلها أئمة الدين وفضلاء المسلمين، ودوّنوها في كتبهم، فهي مشورة مستفيضة متظافرة الأدلة، وكلام الفقهاء - رحمهم الله تعالى - فيها هو القول الفصل الذي تدور عليه رحى الأحكام، لأنهم حملة العلم، ونقلة الدين.

هدم الكنائس في البلاد التي فتحت عنوة كمصرٍ والشام جائز مع عدم الضرر علنا، كما أنهم يمنعون من بنائها إذا انهدمت، وبقائها في أيديهم ليس تمليكا لهم، وإنما هي ملك لنا

وها نحن نُملي عليك بعض ما ورد مُصرّحاً به عن أئمة مذهبنا ، ملتزمين في غاية الاختصار.

- البحث من حيث اللغة: (الكنيسة) و (البيعة):

قال في "القاموس" في فصل الكاف باب السين: والكنيسة متعبد اليهود.

قال في "القاموس" في فصل الباب باب العين: البِيعة بالكسر متعبّد النصارى، جمعها كعِنَب.

وفي "المصباح" في فصل الباء مع الياء : البِيعة بالكسر للنصارى.

وفي "المصباح" في باب الكاف مع النون: والكنيسة متعبد اليهود.

- (البحث من حيث الحكم) :

جاء في كتاب "المقنع" - لمؤلفه الإمام الفقيه، شيخ السنة، ومفتي الأمة،

سيد العلماء الأعلام، إمام المحدّثين، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الصالحي الدمشقي، الزاهد الرباني، صاحب المغني والمقنع ، وكان هيِّناً ليِّناً متواضعاً، من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكان الملك العزيز ابن الملك العادل كثير الزيارة له، توفِّي يوم السبت يوم عيد الفطر سنة (٦٢٠هـ) بمنزله بدمشق، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى - في صحيفة ٢٤٥ في باب أحكام أهل الذمة: " ويُمنعون من الجهْر بكتابهم، ومن إظهار المنكر، ومن إحداث كنيسة".

وجاء في كتاب " الفروع" لمؤلفه قاضي القضاة أحد الأئمة الأعلام المتوفَّى في دمشق سنة (٧٦٣هـ) ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى، وهذا كتاب " الفروع" من أجلّ الكتب وأنفعها وأجمعها للفوائد، وهو خطٌ قديمٌ مكتوبٌ في سنة (.....) ، قال في باب أحكام أهل الذمة: " ويمنعون وجوباً من رفع الصوت بكتاب، وقال شيخنا (يعني شيخ الإسلام ابن تيمية) ليس لهم إظهار شيء من دينهم في دار الإسلام أصلاً كل وقت".

وقال في باب أحكام الكنائس ومعابد المجوس: " ويُمنعون من إحداث الكنائس والبيَع، ذكره شيخنا وقال: إجماعاً.

وذكر في " الفروع": " أن هدم الكنائس في البلاد التي فُتحت عنوةً كمصر والشام جائزٌ مع عدم الضرر علناً، كما أنهم يُمنعون من بنائها إذا انهدمت، وبقائها في أيديهم ليس تمليكاً لهم، وإنما هي ملكٌ لنا، ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر أبقاها في أيديهم وقال لهم: "أبقيناكم ما أردنا" ، فلما جاء عمر أجلاهم عنها. ويمنعون من دخول مساجد الحلّ، وهو قول عمر وعلي - رضي الله عنهما-، لأن حدث الحيض والجنابة يَمنع المسلم من اللّبث فيه، فالكفر بالله تعالى أولى، وقال ابن الجوزي في تفسيره: يجب منعهم من ذلك".

وجاء في " تصحيح الفروع" - لمؤلفه شيخ المذهب علاء الدين علي بن سليمان بن أحمد السعدي الصالحي (الشهير بالمرداوي)، الإمام العلاّمة المفنّن أعجوبة الدهر محرّر العلوم، صاحب التصانيف الفائقة كالإنصاف والتنقيح والتحرير في الأصول، وكان الأكابر

أصل الفتوى يرجع إلى الشروط التي شرطها عمر رضي الله عنه على أهل الذمة بعد فتح الشام، وسار على منهجها رجاله الفاتحون، وأقرّهم عليها وتناقلها أئمة الدين وفضلاء المسلمين، ودوّنوها في كتبهم

والأعيان يقصدونه لزيارته والاستفادة منه، توفي سنة ٨٨٥ هـ بمنزله في صالحية دمشق، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى - في بحث منعهم من دخول مساجد الحلّ: " وهو الصواب، لأن المسلم يمنع من اللبث فيه، فهذا بطريق أحرى وأولى، وفيه أنه يجوز لضرورة بناء وإصلاح".

وجاء في " الإقناع" - لمؤلفه الإمام ذو الدين الشامخ، والعلم الراسخ، شرف الدين أبو النجا موسى بن أ؛مد بن موسى المقدسي الصالحي الدمشقي (الشهير بالحجاوي)، العالم النحرير، مفتي الحنابلة بدمشق، والمعوّل عليه في الفقه، صاحب المؤلفات التي تلقّاها الناس بالقبول لحسن قصده وإخلاص نيته منها كتاب الإقناع، توفِّي سنة ٩٦٨هـ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله - في صحيفة ٧١٧ في باب عقد الذمة: " ويمنعون من إظهار دينهم، ويحرم بيعهم وإجارتهم ما يعملونه كنيسة".

وقال في صحيفة ٧١٩: " ويمنعون من إحداث كنيسة وبيعة في دار الإسلام، ويمنعون من بناء صومعة لراهب، ويمنعون من الزيادة فيها بتوسعة أو تعلية لأن الزيادة في معنى إحداثها، ويُمنعون من بناء ما استهدم منها لأنه كبناء كنيسة في دار الإسلام فمنعوا منه كابتداء بنائها، ويمنعون من رفع صوت بكتابهم لأن في شروطهم لابن غنم : (وأن لا نرفع أصواتنا في الصلاة، ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، (وأن لا نظهر صليباً) ولا كتاباً بين المسلمين...) إلى آخر ما ذكره".

وقال في صحيفة ٧٢٦: " وليس لهم دخول مسجد الحلِّ ولو بإذن مسلم".

فهذا صريحٌ في أنه يحرم بيعهم وإجارتهم ما يعملونه كنيسة، بمعنى : (أنه) يحرم على الرجل أن يبيعهم أرضاً له يعملون فيها كنيسة، فمنعهم من عمل كنيسة في أرض موقوفة على عموم المسلمين من باب أولى، لأن كل مسلم له حق المطالبة في المنع، وهم ممنوعون من إحداث الكنائس فصارت النتيجة أننا ممنوعون من بيعهم، وهم ممنوعون من البناء.

ورد في أهل الذمة أنهم يمنعون من إحداث كنيسة وبيعة أو صومعة في دار الإسلام، ويمنعون من الزيادة فيها بتوسعة أو تعلية لأن الزيادة في معنى إحداثها، ويُمنعون من بناء ما استهدم منها لأنه كبناء كنيسة في دار الإسلام فمنعوا منه كابتداء بنائها

وقال شارح "الإقناع" – العلاّمة الأصولي الفقيه المفسر الشيخ منصور بن يونس البهوتي، كان جبلاً من جبال العلم، له الشروح المفيدة، ومنها شرح الإقناع، وكانت وفاته بمصر ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الأول سنة ١٠٥١هـ، ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى - ، ما يشبه هذه القضية: وذلك أن الفاتح الكبير عبدالرحمن بن غنم اشترط على أهل الجزيرة شروطاً، فكان صريح كتاب أهل الجزيرة له هكذا: "وإن نحن غرنا أو خالفنا في شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حلّ لك أن تفعل بنا ما يحل بأهل المعاندة والشقاق"، وأمره عمر أن يقرهم على ذلك، اهـ.

وإن المخالفة الواقعة الآن من اليهود في فلسطين هي عين المعاندة والشقاق المقتضيان أن يحل بهم حسبما اشترطه على أنفسهم أهل الجزيرة، لأن الحكم واحدٌ والشرط واحدُ، وصار من الواجب المتعين على صاحب السلطة أن لا يقرهم على عنادهم وشقاقهم، تمسكاً بالحق، وتوطيداً للأمن.

قال في "الفروع" في باب نقض العهد: "ويُنتقض بإظهار ما شرط عليهم ستره مما هو من دينهم، قال ابن شهاب وغيره: يلزم أهل الذمة ما ذُكر في شروط عمر. وكذا ذكره ابن رزين، ولكن قال ابن شهاب: من أقام منهم في مدائن الشام لزمتهم هذه الشروط، شرطت عليهم أم لا ؟ ".

المخالفة الواقعة الآن من اليهود في فلسطين هي عين المعاندة والشقاق المقتضيان أن يحل بهم حسبما اشترطه على أنفسهم أهل الجزيرة، لأن الحكم واحدٌ والشرط واحدُ

وجاء في كتاب "المنتهى" - للإمام العلاّمة شيخ المذهب شهاب الدين الفقيه الأصولي محمد بن عبدالعزيز الفتوحي المصري، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الإمام أحمد، وتوفي في حدود سنة (٩٨٠ هـ) بمصر رحمه الله تعالى - : "ويُمنعون من إحداث كنائس وبيع ومجتمع كبغداد والبصرة وواسط، أو ما فتح عنوة كمصر والشام، ولا يصح على إحداث ذلك في أرض المسلمين".

ثم قال: "ولا يجوز فيها بناء مجامع للكفر، وكذا إحداث صومعة لأن في حديث عبدالرحمن بن غنم: (وأن لا نحدث قلاّية ولا صومعة لراهب) ويُمنعون من إظهار منكر ومن الجهر بكتابهم".

وقال: "وليس للكافر دخول مسجد ولو أذن له فيه مسلم، لحديث

أبي موسى لما دخل على عمر ومعه كتاب فيه حساب عمله، فقال له عمر: (ادع الذي كتبه ليقرأه)، قال: (إنه لا يدخل المسجد)، قال: (ولم لا يدخل)، قال: (إنه نصرانيّ)، فهذا يدل على اتفاقهم على أن الكافر لا يدخل المسجد" اهـ .

فهذه نصوص الفقهاء رحمهم الله تعالى صريحة تنادي بمنع اليهود من حضورهم محل البراق الشريف الذي يلي جدار المسجد الأقصى واجتماعهم فيه وإظهارهم شعائر دينهم أو إحداث كنيسة لهم، بل ولا يحل لمسلم أن يبيعهم أرضه لأجل ذلك ولو بطريق الاستئجار، فكيف بإحداث كنيسة في أرض موقوفة على عموم المسلمين فهذا أشد في المنع وأعظم في التحريم من باب أولى وأحرى، لأن كلً فرد من أفراد المسلمين له حقه من المعارضة والمنع والمطالبة.

وروى الإمام ابن جرير الطبري بسنده إلى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه القائد العظيم في فتح الشام أن من جملة ما شرطه عمر أمير المؤمنين على نصارى إيلياء : "أن لا يسكن معهم يهودي".

ومن استحل ذلك عالماً تحريمه وبما يُنشأ عنه عامداً فقد كفر، لأنه أعان على إحياء شعائر الكفر، وتقويته عناداً للدين ومماللئة على المسلمين.

فلأجل هذه الأسباب تعيّن على ولي الأمر من المسلمين أن لا يمكنهم من دخول هذا المكان المقدس، وأن يمنعهم من الاجتماع فيه، لأنه من المنكر، وتعيّن على المسلمين عموماً أينما وُجدوا أن يؤازروه ويعاضدوه، إذا لم يُزل إلا بذلك، لأن فيه إحياء لشعائر الدين، وبه تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

كتبه / الفقير خادم العلم بنابلس

يوسف صوفان الحنبلي- عفي عنه

نصوص الفقهاء رحمهم الله تعالى صريحة تنادي بمنع اليهود من حضورهم محل البراق الشريف الذي يلي جدار المسجد الأقصى واجتماعهم فيه وإظهارهم شعائر دينهم أو إحداث كنيسة لهم، بل ولا يحل لمسلم أن يبيعهم أرضه لأجل ذلك ولو بطريق الاستئجار

م. مبتسم الأحمد

قراءة في كتاب : في قبضة الحاخامات

صدر

في قبضة الحاخامات

تعاظم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية

تأليف: د.صالح محمد النعامي

عن مركز البحوث والدراسات التابع لمجلة البيان والتي تصدر من الرياض في المملكة العربية السعودية هذا الكتاب الذي بين أيدينا من هذا العدد، وهو يحمل الإصدار رقم (١٨٧) للمركز في طبعته الأولى والذي صدر في عام ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، وقد عودتنا المجلة على إصدار رسائل وبحوث علمية رصينة متخصصة في كل ما يهم الشأن الإسلامي والعربي، وتعد إصداراتها في مجال الصراع الإسلامي اليهودي وقضية المسلمين المركزية قضية فلسطين الأبرز في مجال النشر والطرح والتداول ولما تتميز به من الرصانة والتوثيق والمعالجة الهادئة العميقة، والتي ترشد القارئ والباحث عن الحقيقة وعن موطن الداء ودقة المقال وبلسم الدواء.

الكتاب في محتواه العام يعد تسليطا للضوء على العوامل والتحولات التي سمحت بتعاظم التيار الديني الصهيوني على صنع القرار الإسرائيلي، ويعد محاولة جادة لرصد تعاظم دور التيار الديني على الواقع الإسرائيلي

• والمؤلف د. صالح محمد النعامي هو ابن فلسطين البار وهو باحث وصحافي متخصص في الشأن الإسرائيلي وتقاطعاته المختلفة، وله مقالات وبحوث وكتب عديدة حول الشأن الإسرائيلي وتقاطعاته العربية والفلسطينية والدولية.

• والكتاب الذي بين أيدينا مجلد ضخم من القطع المتوسط يقع في أكثر من خمسمائة صفحة، واحتوى على أكثر من (١٢٠) مائة وعشرين مرجعا من المراجع العربية والعبرية فضلاً عن المجلات والدوريات والمقابلات والصحف ومواقع الإنترنت إضافة إلى المراجع

الأجنبية، وهو مما أسهم في رصانة وإثراء الكتاب ومتانة طرحه.

والكتاب في محتواه العام يعد تسليطاً للضوء على العوامل والتحولات التي سمحت بتعاظم التيار الديني الصهيوني على صنع القرار الإسرائيلي، وهو في الوقت نفسه محاولة جادة لرصد آثار تعاظم دور التيار الديني الصهيوني على الواقع الإسرائيلي الداخلي، وعلى الإقليم والمنطقة العربية في الوقت الحاضر، واستشراف المزيد منها في المستقبل.

وقد قسم الباحث الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول وتحت كل فصل مقدمة وأربعة مباحث وفي كل مبحث عدة مطالب ثم خاتمة وفهرس للمحتويات.

ولعل عدم اشتمال الفهرس على تفصيل وتفريع لمطالب المباحث المختلفة يعدّ نقطة ضعف في التعامل مع الكتاب، ويجد القارئ صعوبة لما يريد أثناء بحثه فيه.

وقد جعل الكاتب المقدمة بمثابة مدخل للكتاب حيث ضمّنه العديد من التعريفات المهمة التي سيتم التعامل معها القارئ في الكتاب ليكون على معرفة وفهم لقصد ومآلات هذه المصطلحات وأهمها (اليهودية واليهود، الصهيونية، التيار الديني الصهيوني وأقسام المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، فضلاً عن تقسيم المجتمع الإسرائيلي نفسه من حيث تركيبته وأوزان كل قسم في المجتمع، كما فيه بيان لمفهوم الحاخام وتوصيف لمفهوم دولة إسرائيل، ...إلخ)

تعد إسرائيل مثالا صارخا للكيانات السياسية التي يطغى فيها تأثير مكونات البيئة الداخلية على صنع القرار، حيث يلعب الحراك السياسي الداخلي في إسرائيل والقوى المؤثرة فيه دورا مهما في تصميم السياسات العامة

ويقول د. النعامي في معرض مقدمته لهذه المفاهيم : "وتعتبر إسرائيل مثالاً صارخاً للكيانات السياسية التي يطغى فيها تأثير مكونات البيئة الداخلية على عملية صنع القرار، حيث يلعب الحراك السياسي الداخلي في إسرائيل والقوى المؤثرة فيه دوراً مهماً وحاسماً في تصميم السياسات العامة لهذا الكيان وتوجيهها، ولقد أوجز وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر عندما قال: (لا يوجد في إسرائيل سياسة خارجية، بل سياسة داخلية تمليها حسابات حزبية ضيقة)". أهـ

• أما الفصل الأول من الكتاب فقد خصصه الباحث للحديث حول "الدين والسياسة في إسرائيل"، وذلك في أربعة مباحث مهمة وهي:

- العوامل المؤثرة في تنامي التيارات الدينية: وهو يناقش عدداً من

النماذج النظرية التي وُضعت لتفسير علاقة الدين بالسياسة، وإدراك أسباب تنامي التيارات الدينية ومحاولة تفسيرها بناء على أحد النماذج.

- مصادر التفكير الديني اليهودي: وفيه عرض لهذه المصادر وخصوصاً (العهد القديم والتلمود) ونظرتها لليهود وإلى غير اليهود.

- الصهيونية واليهودية: وفيه معالجة العلاقة بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة علمانية أخذت على عاتقها إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين.

- أبعاد العلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل: وفيه توضيح لأبعاد علاقة الدين بالدولة على مختلف الصُعد الدستورية والقانونية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

يقول د.النعامي في ص (٣٣): "لا خلاف بين علماء الاجتماع السياسي في إسرائيل على الدور الكبير للانتصارات العسكرية التي حققتها إسرائيل على الدول العربية في ايجاد بيئة مناسبة للإقبال على التدين، حيث نظرت الكثير من القطاعات السكانية داخل إسرائيل إلى هذه الانتصارات على أنها تحقيق للنبوءات التي جاءت بها التوراة وبقية المصادر الدينية، وهو ما ألهب الحماسة الدينية لدى هذه الأوساط" ...!

وعن موقف الصهيونية في توظيف العقائد الدينية قال ص (٥٤): "ورغم عدائها للدين لم تتردد الصهيونية في توظيف المعتقدات الدينية ومركبات الهوية اليهودية في إضفاء شرعية على مطالبها السياسية، سيما زعمها بأن اليهود يشكلون وحدة قومية مستقلة بذاتها، إلى جانب استدرار عطف وتأييد اليهود، ومن ضمنهم المتدينون في محاولتها اقناعهم بالانضمام لمشروعها، وقال المفكر الصهيوني حاييم كاتس "لقد اعتمدت القومية اليهودية الحديثة على العقائد الدينية بشكل كبير، وكانت سبباً هاماً في تدعيم حججها الأيدلوجية وقوتها العاطفية".

ويلاحظ على الباحث كثرة النقولات عن المفكرين والساسة اليهود والغربيين في تدعيم توجهاته وما يتوصل إليه، فضلاً عن استعانته بالإحصاءات ونتائج الاستبانات، وهو ما درج عليه في مجمل الكتاب.

يكمن سر نجاح حركة "شاس" - كحركة احتجاج على التمييز العنصري الذي لحق بالشرقيين- في أنها انطلقت كجزء من الطيف الصهيوني، ولم تسع إلى رفض الصهيونية، كما سلكت حركات الاحتجاج الشرقية التي سبقتها

• والفصل الثاني خصصه للحديث حول "نشأة الصهيونية الدينية واتجاهاتها"، وقسمه إلى أربعة مباحث على النحو التالي:

- نشأة الصهيونية الدينية: حيث يعرض الظروف التي أدت إلى نشأة التيار الديني الصهيوني، وبلورة الاتجاهات الرئيسة بداخله.

- المتدينون القوميون: ويتناول تنظيماتهم السياسية ودورهم في المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية.

- الحريدية الغربية: حيث يتناول تقسيماتها وتنظيماتها السياسية، وأنماط اندماجها في المشروع الصهيوني وموقفها من الصراع مع العرب، إلى جانب موقفها من الانفتاح على المجتمع العلماني.

- الحريدية الشرقية: ممثلة في حركة "شاس" وأسباب تعاظم دور الحركة وموقفها من الصراع مع العرب... إلخ.

يقول الباحث في ص (١٩٥): "ويكمن سر نجاح حركة "شاس"-كحركة احتجاج على التمييز العنصري الذي لحق بالشرقيين- في أنها انطلقت كجزء من الطيف الصهيوني، ولم تسع إلى رفض الصهيونية، كما سلكت حركات الاحتجاج الشرقية التي سبقتها، بل عمدت إلى إعادة تعريف الصهيونية، وقدمت نفسها على أنها تمثل "الصهيونية الحقة"، ... وبالتالي فإن الصهيونية التي تبشر بها "شاس" تحافظ على تراث الآباء وتعتبر الدين اليهودي جوهر الكيان اليهودي".

• أما الفصل الثالث فقد خُصص للحديث حول "الصهيونية الدنية وآليات مراكمة القوة"، وتحته أربعة مباحث، وبيانها:

- التحولات التي أسهمت في تعاظم التيار الديني الصهيوني: ويتناول التحولات الإقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والديموغرافية.

- التعليم الديني: ويتناول تقسيماته ومصادر تمويله وسماته.

- مكانة الفتوى الدينية: أسبابها ومظاهر تعاظم حضورها ودورها

على الرغم من اتضاح التوجهات الانفصالية لدى قطاعات واسعة من التيار الديني الصهيوني إلا أن إمكانية تحول هذه التوجهات إلى تحرك عملي جدي صوب تحقيقها تبدو صعبة للغاية

في المجتمع الإسرائيلي.

- اختراق الجيش: ويتناول اختراق المتدينين للجيش ومؤسساته والظروف التي ساعدتهم على ذلك وتبعات هذا الاختراق.

وذكر الباحث تحت مطلب "العربي في مناهج التدريس الديني" ص (٢٥٢ وما بعدها) ما خلاصته أن صورة العربي في مناهج التدريس الحكومية تأثرت بثلاثة عوامل أساسية، وهي: النظرة الاستشراقية كما رسمها المستشرقون اليهود عن العرب على إنهم متخلفون ومعادون للحضارة.... إلخ.

متطلبات قيام الوطن القومي لليهود تفترض محاولة ترسيخ الادعاء بأن الحقوق التاريخية في فلسطين تعود حصرياً إلى اليهود، وتصوير فلسطين على أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض..!

متطلبات قيام الوطن القومي لليهود تفترض محاولة ترسيخ الادعاء بأن الحقوق التاريخية في فلسطين تعود حصرياً إلى اليهود، وتصوير فلسطين على أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض..!

متطلبات قيام الوطن القومي لليهود تفترض محاولة ترسيخ الادعاء بأن الحقوق التاريخية في فلسطين تعود حصرياً إلى اليهود، وتصوير فلسطين على أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض..!

تصميم الوعي الجمعي للإسرائيليين على أساس تحميل العرب المسؤولية عن الحروب التي اندلعت في المنطقة... إلخ.

وعن تبعات اختراق المتدينين للجيش ذكر الباحث في ص (٢٩١): "وعندما سأل أحد الصحفيين الحاخام العسكري السابق للجيش الجنرال رونتسكي قائلاً: في حال أصدرت الحكومة المنتخبة تعليمات لك، وأصدر الحاخام "مردخاي إلياهو" تعليمات متناقضة، فأي التعليمات ستطيع؟ فكان رد "رونتسكي" حازماً وقاطعاً، حيث قال: سأتبع تعليمات الحاخام "إلياهو" وأستقيل من الجيش".

• وقد خصص المؤلف الفصل الرابع للحديث عن "أنماط تأثير الصهيونية الدينية على البيئة الداخلية" وذلك في أربعة مباحث هي:

- دور الأحزاب الدينية في الائتلافات الحاكمة: ويتناول تأثير التيار الديني الصهيوني على سلم الأولويات في إسرائيل، ونفوذ الأحزاب والحركات الدينية في خدمة منطلقات وأهداف التيار الديني.

- التيار الديني والتأثير على اتجاهات الإسرائيليين السياسية: ويتعرض لدور التيار الديني في التأثير على اتجاهات الإسرائيليين السياسية

والآليات التي اتبعها في تحقيق ذلك.

- الصراع مع العلمانيين: ويتناول الصراع مع المتدينين والعلاقة بين تعاظم تأثير الصهيونية الدينية وتأجيج هذا الصراع.

- الصهيونية الدينية ومستقبل النظام السياسي: ويتعرض لموقف التيار الديني من الديموقراطية وتأثير مشاركته في الحكومات المتعاقبة على نظام الحكم.

ويذكر الباحث تحت بند "الإكراه الديني" العوامل التي أسهمت في تعاظم مظاهر الاستقطاب بين المتدينين والعلمانيين في ص (٣٦٣): "ويبدو الإكراه الديني في صورة سعي المؤسسات الدينية إلى تطبيق التفسيرات الأكثر تشدداً للأحكام الدينية، فقد منعت الحاخامية العسكرية الإسرائيلية إحدى المجندات المتدينات من تلاوة صلاة الجنازة على روح جدتها المتوفاة في كنيس القاعدة العسكرية التي تخدم فيها لأنها إمرأة! ولأن صوتها يثير الغريزة الجنسية عند الرجال ... وقررت قيادة الجيش الإسرائيلي تشييد بركتي سباحة منفصلتين للضباط والضابطات في مدارس الضباط التابعة لشعبة الكليات في الجيش، في الوقت نفسه يجبر الجنود العلمانيون على الاستماع إلى الحاخامات المتطرفين، بينما يتم إعفاء الضباط والجنود المتدينين من حضور الحفلات الموسيقية التي ينظمها الجيش للجنود بسبب مشاركة نساء مطربات في أداء الأغاني...".

على الرغم من اتضاح التوجهات الانفصالية لدى قطاعات واسعة من التيار الديني الصهيوني إلا أن إمكانية تحول هذه التوجهات إلى تحرك عملي جدي صوب تحقيقها تبدو صعبة للغاية

على الرغم من اتضاح التوجهات الانفصالية لدى قطاعات واسعة من التيار الديني الصهيوني إلا أن إمكانية تحول هذه التوجهات إلى تحرك عملي جدي صوب تحقيقها تبدو صعبة للغاية

ويقول د.النعامي في ص (٣٨٥): "وعلى الرغم من اتضاح التوجهات الانفصالية لدى قطاعات واسعة من التيار الديني الصهيوني إلا أن إمكانية تحول هذه التوجهات إلى تحرك عملي جدي صوب تحقيقها تبدو صعبة للغاية لأن المستوطنين من أتباع التيار الديني الصهيوني يعتمدون بشكل مطلق على دولة إسرائيل من ناحية أمنية واقتصادية، في الوقت نفسه فإن التسامح الذي تبديه النخب الحاكمة في إسرائيل تجاه هذا التيار لا يمكن أن يصل إلى حد السماح له باتخاذ خطوات عملية جدية نحو تحقيق الانفصال عن الدولة، لأن هذا سيؤدي إلى انهيار هذا الكيان ....إلخ".

• أما الفصل الخامس فقد خُصص للحديث حول "صعود الصهيونية الدينية وتداعياته الإقليمية"، وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث كذلك، وهي:

- الصهيونية الدينية والعنف ضد الفلسطينيين: ودوره في هذا العنف والآليات التي يتبعها في ذلك.

- الصهيونية الدينية والسيطرة على الأرض الفلسطينية: وفيه الدور الذي يقوم به التيار الديني الصهيوني في السيطرة على الأرض وإرساء حقائق استيطانية على الأرض لقطع الطريق للوصول إلى أية تسوية سياسية.

- الصهيونية الدينية والحروب: وفيه بيان موقفها من الحروب مع العرب وأنماط تأثير التيار الديني على سلوك الجيش خلال الحروب.

- التيار الديني الصهيوني والتوجهات الانعزالية: ويتناول جذورها ودوافعها ومظاهرها.

وتحت مطلب "تشريع قتل الفلسطينيين" ذكر د. النعامي ص (٣٩٦): "ومن الفتاوى التي تحث على القتل العشوائي، كانت تلك التي صدرت بتاريخ ٦-٣-٢٠٠٨م ووقع عليها عدد من كبار الحاخامات اليهود الذين يشكلون ما يُعرف بـ "رابطة حاخامات أرض إسرائيل" برئاسة الحاخام "دوف ليئور" التي أباحت للجيش الإسرائيلي قصف التجمعات السكانية الفلسطينية دون تمييز، والتي استند إليها عدد من الوزراء المتدينين في حكومة "أولمرت" السابقة لإبداء حماستهم إزاء تعمد المس من المدنيين الفلسطينيين..... وجاء في الفتوى أن (الشريعة اليهودية تبيح قصف التجمعات السكانية المدنية الفلسطينية، والتوراة تجيز إطلاق قذائف على مصدر النيران حتى ولو كان يتواجد فيه سكان مدنيون) ولم يفت الموقعين على الفتوى التأكيد على أنه لا يتوجب على الجيش تحذير المدنيين قبل عملية القصف!! ...."

وختم هذا الفصل ص(٤٨٦) بالقول: "وبهذا يتضح الدور الذي يلعبه التيار الديني الصهيوني في تأزيم الأوضاع الإقليمية في المنطقة، والدفع بها إلى المزيد من الحروب عبر التصدي لأي محاولة لتسوية

ينبغي الاهتمام بتعميق الفهم بالشأن الإسرائيلي على أسس علمية معرفية منهجية، بدلا من الضياع بين منهج التهويل والتوهين، وضرورة توفير الحماية للشعب الفلسطيني لما يتعرض له من خطة ممنهجة من للإبادة.

الصراع العربي الإسرائيلي بالوسائل السياسية ..... إلخ".

• أما خاتمة الكتاب فتمثلت بمجموعة من النتائج التوصيات قسمت ما بين توصيات عامة وأخرى للدول العربية وانتهاءاً بتوصيات للجامعة العربية، جاءت في نحو أربع عشرة توصية، لعل من أهمها:

- الاهتمام بتعميق الفهم بالشأن الإسرائيلي على أسس علمية معرفية منهجية، بدلاً من الضياع بين منهج التهويل والتوهين.

- توفير الحماية للشعب الفلسطيني لما يتعرض له من خطة ممنهجة من قبل إسرائيل في ظل تأثير التيار الديني الصهيوني.

- عدم الرهان على تحقيق تسوية سياسية للصراع مع الإسرائيليين، وتحقيق القوة العسكرية الازمة لردع إسرائيل.

- التحرك في المحافل الدولية والأممية لفضح الممارسات الصهيونية ضد الفلسطينيين، والعمل على فرض مقاطعة وعزلة شاملة لهذا الكيان العدواني الغاصب.

- رعاية مشاريع إقامة مراكز أبحاث متخصصة في الشأن الإسرائيلي في العالم، وتوفير الإمكانات المادية اللازمة، مع التوسع في إقامة مراكز الترجمة من وإلى العبرية بناء على أساس علمي منهجي.

في النهاية أستطيع أن أقول: أن الكتاب يستحق أن يقرأ بعناية كبيرة، لما يتمتع به من أسلوب علمي توثيقي يجمع بين المنهج العلمي الاستقرائي والمنهج العلمي الاستنباطي الذي يبلور توجهات المستقبل ضمن أسس رصينة تستند للحقائق على الأرض والأرقام والتحليلات، ولذا نجده يأخذ بيد الباحثين ليفهموا عدوهم على أسس علمية، ولعل القارئ المتخصص ما أن يمسك به لا يتركه إلا وقد جاء على آخره.

أسأل الله تعالى أن يوفق الباحث الكريم لكل خير، ويبارك في جهده وعمله، ويعينه ليقدم للمكتبة الإسلامية والعربية الكثير والمزيد من الدراسات الجادة والمفيدة.

الكتاب يستحق أن يقرأ بعناية كبيرة، لما يتمتع به من أسلوب علمي توثيقي يجمع بين المنهج العلمي الاستقرائي والمنهج العلمي الاستنباطي الذي يبلور توجهات المستقبل ضمن أسس رصينة تستند للحقائق على الأرض والأرقام والتحليلات

صدر

آفاق ما بعد الحرب على غزة

حديثا عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية كتاب جمع أوراق عمل وأبحاث ومناقشات ورشة عمل (آفاق ما بعد الحرب على غزة)، والتي أقامها المركز بالتعاون مع مركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية بدولة الكويت، بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٤٣٥هـ، الموافق ١٥ ديسمبر ٢٠١٤م، والتي شارك فيها نخبة من المختصين والباحثين والإعلاميين، وكانت محاور الندوة على النحو التالي :

عنوان المحور	اسم الباحث
آفاق علاقة المعسكر الأمريكي وحلفائه بالمقاومة الفلسطينية	د. غازي التوبة
آفاق القضية الفلسطينية بعد أحداث غزة ٢٠١٤م	د. محمد عبدالعزيز أبو سخيلة
روسيا والقضية الفلسطينية تفاعلات وتداخلات وعلاقات وآفاق	د. سامي الدلال
مستقبل الوفاق الوطني الفلسطيني بعد الحرب على غزة	أ. درويش مصطفى عبدالنبي
العلاقات التركية الفلسطينية بين عامي ٢٠١٢م و٢٠١٣م	أ. محمد زاهد جول
آفاق العلاقة الإيرانية بالمقاومة الفلسطينية	أ. صباح الموسوي الأحوازي
مستقبل الكيان الصهيوني في ضل التطور النوعي للمقاومة	د. سلمان أبو ستة
آفاق تعامل الإعلام العربي مع أحداث غزة ٢٠١٤	أ. سالم أحمد الناشي

وتعدُّ ورشة (آفاق ما بعد الحرب على غزة ٢٠١٤م) الورشة الأولى التي يعقدها (مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية) بالتعاون مع (مركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية)، وهدف المركز من خلالها إلى تلمس الرؤى والحلول لطريقة الخلاص والخروج من

الأزمة الخانقة التي يعيشها قطاع غزة وأهله في ظل الحروب واجتياحات صهيونية متكررة وصمت عربي مطبق .

ليشارك العقل الجمعي النخبوي ممن يحمل هم الأمة، ويضع لمشكلاتها التي تعاني منها حلولاً ترقى ومستوى الحدث، وتتناغم علمياً مع الحلول الشرعيّة والواقعية المتاحة ، كما تأتي هذه الورشة كمحاولة لرفع مستوى التفكير من خلال أبحاث تم تحكيمها ومناقشتها ليتم تزويدها للمختصين من أصحاب القرار وصُنّاعه، لتكون لهم معينا معرفيا مدروساً يتزوّدون منه لصياغة سياسات منصفة، متزنة للحق الإسلامي والإنساني في فلسطين بعامة وقطاع غزة بخاصة .

ولقد تعاطت إدارة المركز مع رجال الفكر الحر غير المسيّس ممّن قبل المشاركة متطوّعاً ، ليقف بفكره وقلمه أمام موجات التغريب والتطبيع والتضليل، لنخلص منهم برأي حرّ ونزيه مثمّنين وشاكرين لهم وقفتهم التاريخية في الدفاع عن الأرض المقدّسة وأهلها في كتاب جمع أبحاث هذه الورشة ليوزع على أصحاب القرار من وزراء وسفراء وبرلمانيين وأكاديميين، مساهمة في ايصال الرسالة إلى أكبر عدد من شريحة النافذين والمؤثرين .

قواعد النشر في المجلة

حرصا منا على تشجيع البحوث الموثقة لخدمة قضية المسلمين الأولى، فإننا ندعو المختصين والباحثين والمهتمين إلى إثراء السلسلة بإسهاماتهم مع الأخذ في الاعتبار المعايير التالية:

الشروط:

تشترط سلسلة بيت المقدس للدراسات في البحوث والدراسات المرشحة ما يلي:

- **أن يكون موضوع البحث في مجال الدراسة حول فلسطين، والقدس، والمسجد الأقصى، واليهود واليهودية، وأن يكون باللغة العربية.**
- **ألا يكون البحث قد نشر في كتاب أو مجلة أو موقع إلكتروني من قبل.**
- **أن تكون الدراسة متماسكة، وبعيدة عن الطرح الأكاديمي الصرف، بحيث تكون ذات صلة بالميدان والواقع ما أمكن.**
- **ألا تتجاوز الدراسة ٢٠ صفحة (مقاس A4).**

ترسل نسخة من الدراسة المقدمة للنشر إلى المشرف العام لسلسلة بيت المقدس للدراسات على العنوان الإلكتروني التالي:

chief-aqsa@hotmail.com

والله الموفق ،،

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

www.aqsaonline.info